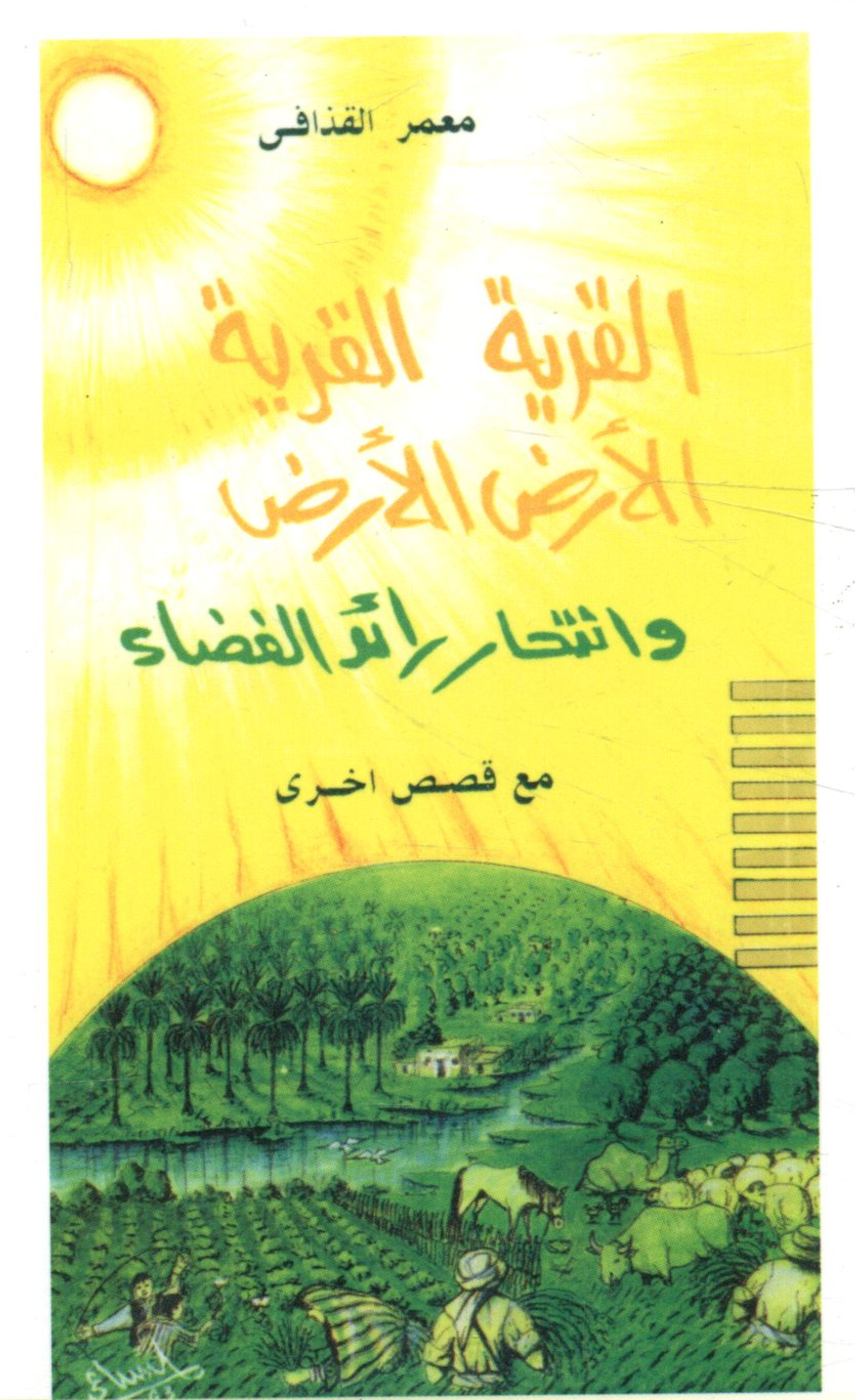
مقاربات
واراء

قراءات في إبداع

معمر القذافي

مفكرون وأدباء وباحثون يحللون نصوص
المجموعة القصصية للأخ القائد





من إصدارات المركز العام للإذاعات الموجهة ـ صوت أفريقيا 6

قراءات في إبداع معمر القذافي

مفكرون وأدباء وباحثون يحللون
نصوص المجموعة القصصية للأخ القائد

وقائع الندوة نظمها المركز في الفترة من ،23/ أي النار إلى 2/النوار 1996 مسيحي

من إصدارات المركز العام للإذاعات الموجهة - صوت إفريقيا 6

رقم الإيداع : 317 / 2007 مسيحي
الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا
الترقيم الدولي الموحد
ردمك ISBN 978-9959-856-09-8
الطبعة الأولى
1375 وفاة الرسول / 2007مسيحي

للمركز العام للإذاعات الموجهة
صوت إفريقيا
شارع السيدي – عمارة غزوة الخندق
طرابلس هاتف
4449106 - 4449108 - 4449206 - 4440112
بريد مصور : 4449875
بريد الكتروني E:MAIL:info@voiceofafrica.com.ly
طرابلس ص ب : (4677 -4396 - 2009)
بنغازي هاتف : من 91112 إلى 91115
ص ب : (274 - 9061)

في البـــدء كانت الكلمة

كانت الكلمة هي باكورة التكوين قبل السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن .. إذ قال الله سبحانه : كن ..

كانت الكلمة هي وسيلة السماء للاتصال بالأرض إذ هبط الروح الأمين بالوحي على المرسلين من عند الله لهداية بنى البشر ، فكانت التوراة ومن قبلها الزبور وكذلك الإنجيل وقد جاء القرآن العظيم مصدقاً لما قبله من الكتاب ومهيمنا عليه ..

كانت الكلمة هي التي جمّدت قوانين الطبيعة بإرادة الله جل وعلا،عندما خرج إبراهيم عليه السلام من النار سالماً بعد أن قال لها الله " **يا نار كوني برداً وسلاماً** ".

كانت الكلمة هي التي قلبت المحنة إلى نصر عظيم إذ قال يونس .. **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ، فخرج من غياهب أعماق البحر ودجى الليل الثقيل ..

كانت الكلمة هي السبيل للهداية المحمدية في أمة تُعلى شأنها ، فأجمع كافرها ومؤمنها على إعجاز آي الذكر الحكيم التي سمعها الوليد بن المغيرة على لسان النبي العربي الكريم فخرج إلى ناديه مذهولاً يتمتم ..

إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه..

هذه الكلمة ترجمان استخلاف الرحمن للإنسان ، وبرهان لتميزه عن سائر المخلوقات، هي أمانة عظيمة لمن يدرك عظمتها وأمانتها.

نعم كانت الكلمة سلاح العظماء ، من الرسل والملائكة إلى النجاشي الأسمر ولقمان الأفريقي والمؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، كانت سلاح معمر القذافي منذ البدء ، أولاً للتغيير عبر العقل ، موطن وساحة التناول الصادق بعد إسقاط حجب الضلال السميكة التي نشرتها الرجعية على الأبصار وفي الأذهان ..

وهكذا رأيناه يوزع على الخلايا المدنية الأولى للثورة كتباً تستنهض همم المنتمين للأمة وتفضح مؤامرات أعدائها .. ورأيناه يكتب بيديه اللافتات التي سيحملها الطلاب المتظاهرون ضد الرجعية والاستعمار والانفصال ..

ورأيناه يختار سلاح الكلمة وهو يكتب مناشير حركة الضباط الوحدويين الأحرار عندما كانت الثورة جنيناً يتخلّق .. ورأيناه لاحقاً وقد انتصرت الثورة ، يُجلّي بيانها الأول (**صرخة الحرية**) ثم يُضمّن الكلمات روحاً ثورية تخترق الأجيال وتعبر الزمان وتتجاوز المدى والمكان.

في (**السوق والتعبئة**) وفي (**تحيا دولة الحقراء**) وسائر الكتب والمقالات التي كتبها ، التي نشرت والتي لم تنشر ، والأخطر من ذلك كله ، والأبعد أثراً من ذلك كله في النظرية العالمية الثالثة التي خرجت إلى الوجود بظهور الكتاب الأخضر..

هاهنا رجل عظيم ، يمتطي فكره الإنساني والثوري صهوات الكلم متقدماً بالبشرية إلى المعاني التي تحبها كثيراً، ومتصدياً لمهمة نبيلة سامية ، دحض ما عشعش في زوايا وتلافيف العقل الانسانى من باطل وخلط وخطل ، واستنبط ما تقره آدمية الإنسان من حلول لمشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ثم أنه استنطق الكلم أفعالا مادية ملموسة ولم يبق مجرد كلم ، أصبح واقعا معاشامن أجل التغيير في كل الميادين ، أصبحت الكلمة مهداً وتمهيداً للفعل .

والكلمة كانت سلاح معمر القذافي الفاعل في تربية العقل الثوري لأجيال توالت ربما لم يدرك آخرها ماناءت تحته أوائلها من نير وعسف وجور قبل الثورة . فخطاب القائد المسموع لا يقل أثرا عن خطابه المكتوب . ومن منا لا يذكر الخطاب الأول في الظهور الأول للقائد في ذكرى استشهاد **عمر المختار** بعد نحو أسبوعين من تفجر الثورة المجيدة ، وخطابه عن الثورة الاجتماعية قبيل خطاب **جمال عبدالناصر** الذي حمله فيه الأمانة ، وخطاب زوارة وإعلان النقاط الخمس وبدء الثورة الشعبية ، وخطب أعياد الثورة ، وخصوصا العيد السادس وسعيه بين الصفا والمروة هاتفاً .. لا اله إلا الله أمريكا عدو الله ، من منا لا يذكر خطاب تمزيق قوائم الممنوعين من السفر ، ومحاضراته في الجامعات وخصوصاً محاضرة الاستعمار والفراغ وخطابه الذي تناول فيه للمرة الأولى قضية المنفيين الليبيين إلى الجزر الايطالية وصولا إلى استنهاضه للمسلمين في خطبه بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف في تمبكتو واغاديس ؟ إذن فقد كانت الكلمة تصل تباعاً مكتوبة ومسموعة لتبث هذه الروح الثورية العظيمة في النفوس وتضيئ المسافة بين الجماهير والفرح بالانعتاق والتحرر من كل صنوف القيد ..

وهذا الكتاب .. المجموعة القصصية للقائد ، هو لوحة فنية مذهلة، ألوانها من عصارة معاناة الإنسان ، وصورها من المخيال الشعبي الزاخر بالحيوية والنبض ، المرتكن إلى قيم نبيلة تغترف من الحق الذي نزلت به رسالات السماء ، وظلالها من فيئ راحة الثوري إذ يدرك أنه يغيّر بيده ماقد يظل حبيس أضلع وقلوب الحالمين غير العاملين . فالمجموعة القصصية **للقائد معمر القذافي** هي ذلك كله . وهي فوق ذلك كله ، وأدب **معمر القذافي** مثل فكر **معمر القذافي** .. بحاجة دائمة إلى المزيد من الانتباه والتأمل من جانبنا ، وكلما أوغلنا في سبر أغواره كلما استنبطنا إيحاءات جديدة .. وتلك هي ميزة الأدب العظيم .. وتلك هي خطورة الكلمة .

إمحمد الغول القائدي
أمين عام المركز العام للإذاعات الموجهة

تقديم

ما كان يجب أن تكون هناك مقدمة لهذا الكتاب . ففيه من الغنى والثراء والتكثيف والتراكم والتلاقي التي تمت بأفكار مجموعة من الكتاب العرب والوطنيين على اختلاف مشاربهم ورؤاهم ما يغنى عن أية مقدمة قد تضيف أو لا تضيف شيئا.

فالكتاب يقدم نفسه بنفسه .

وقد دأبت " إذاعة صوت أفريقيا " منذ سنتين تقريبا على إصدار مجموعة من الكتب القيّمة التي تضيف للقارئ الجماهيري فضاءات واسعة جديدة تمكنه من معرفة مكانتهم التي احتلها في هذا العالم ، وأي أفكار جذّرها في أعماق البشر ، وما هو دوره القادم في تأكيد البديل الجماهيري الذي يحقق الانعتاق الكامل لبشرية مقهورة متعبة مرهقة ؟

فلماذا المقدمة إذن ؟

القصة تبدأ عندما التقيت الصديق الأستاذ " امحمد الغول القائدى " يحمل مجموعة من إصدارات الإذاعة من كتب لاحظت أن بينها ملفاً مختلفاً يحمل عنوانا عاماً " ندوة حول المجموعة القصصية للقائد " وتمسكت بالإطلاع عليه زيادة في تحسس رأي المبدعين العرب في إبداع ثائر وقائد ومفكر .

والحق أن لي قصة مع أول إبداع قصصي لمعمر القذافي . ففي منتصف الثمانينيات من القرن الماضي سلمني أحد الأصدقاء مظروفاً وجدت بداخله قصة بعنوان " الفرار إلى جهنم " بقلم " عامر عبدالله " وهو اسم ليس معروفاً في الوسط الثقافي وطلب منى الصديق ضرورة نشر القصة لأهميتها وكنت وقتها مسؤولاً عن جزء من عملية النشر الأدبي والثقافي في بلادنا وقرأت القصة ولم تكتمل السطور الأولى حتى عرفت أن كاتب القصة هو القائد " معمر القذافي " . كل كلمة فيه يبرز من خلالها وجه المفكر أكثر وضوحاً وإشراقاً .. وأخفيت الأمر . وبما أنني في حياتي الصحفية أؤمن بأن الصحافة اليومية السيارة ليست المكان المناسب لنشر القصة . أية قصة لأسباب يطول ذكرها ، ولهذا فكرت في مجلة الثقافة العربية الليبية . وكان الأمر . ونشرت قصة " الفرار إلى جهنم" باسم "

عامر عبدالله " وزارني أصدقاء كثر من ذوى الاهتمام بالشأن الثقافي يسألون عن القصة وعن اسم كاتبها وجرأته في البوح بما يختلج داخله ، وإن هذا البوح لا يمكن أن يصدر إلا عن كاتب متمكن ومملوء ولديه شئ جديد يريد أن يقدمه ويؤكده .

وساد صمت بعدها لمدة سنة تقريبا أقامت خلالها رابطة الأدباء والكتاب أسبوعاً ثقافياً بالمجمع الثقافي بطرابلس . وفى المساء المخصص للقصة الوطنية فوجئت جماهير المثقفين الموجودة بالقاعة بالقائد " معمر القذافي " يدخل القاعة ويجلس بين الكتاب والمثقفين بدون بهرجة وبروتوكولات ، وليهمس للأستاذة " فوزية شلابي " بأنه لم يأت ليستمع لمجموعة قصص من قاصين مختلفين ولكنه جاء " كقاص " وسلمها كتيباً صغيراً في حجم مفكرة الجيب وطلب منها أن أقرأ أنا " محمد احمد الزوى " ما في الكتيب بالكامل ، ووقعت في حيرة فالكتيب يحمل عنوان " الفرار إلى جهنم " بقلم " عامر عبدالله " وتصادف أنني لم أحمل في ذلك المساء نظارتي الطبية والكتيب طبعة شديدة الشعبية حروفها لا تكاد تبين فمن أين لي الرؤية ؟ ومن أين لي المراجعة ؟ ومن أين لي وضع خطوط التوقف في نهايات الجملة أو الجمل ؟ واستعنت بنظارة الصديق الكاتب كامل عراب ، ولم تكن قوة نظرنا واحدة ، فما أن وضعتها على عيني حتى اكتشفت أن الأمر قد ازداد صعوبة ، وتوكلت على الله وعلى حب القائد ووقفت أمام ناقل الصوت وألقيت مقدمة قصيرة عن مبدع جديد نحتضنه في هذا الأسبوع الثقافي وقلت فيما أذكر قد يكون اسمه غريباً بالنسبة لكم لكن إبداعه سيدخل قلوبكم بدون شك .

وبدأت قراءة قصة " الفرار إلى جهنم " للكاتب " عامر عبدالله " ووفقني الله فقرأتها قراءة سليمة صفق لها الحضور ومع تصفيقهم عرفوا بثقافتهم ووعيهم وقدرتهم على الاستنتاج والكشف أن هذه القصة هي للمفكر " معمر القذافي " .

وشاع الأمر وذاع ..

وتوالت إبداعات القائد التي جمع بعضها في كتاب " الأرض الأرض " . وأنا متأكد أن القائد سوف يفرج عن الكثير من إبداعاته في الوقت الذي يحدده .

ومع خروج الكتاب اهتم الوسط الثقافي الإبداعي العربي بهذا الكتاب حتى وصلت مبيعاته في معرض القاهرة الدولي في منتصف التسعينيات إلى حوالي نصف مليون نسخة وهو ما لم يحدث مع أي

كاتب آخر . فلقد كان القارئ العربي المشدود إلى أفكار المعلم يريد أن يعرف عنه أكثر ويفهم أكثر ويقترب أكثر .وبعيداً عن المبيعات وهى مقياس لا يستهان به فلقد احتضنت بعض العواصم العربية ندوات عن إبداعات معمر القذافي . وفى الجماهيرية كانت الندوات تملأ الفضاء الإبداعي الليبي .. وكان لإذاعة " صوت الوطن العربي " التي تحولت إلى إذاعة " صوت أفريقيا " السبق في إقامة ندوة حول المجموعة القصصية الأولى لمعمر القذافي . وجمعت لها صفوة من ابرز الكتاب العرب والوطنيين ، ورأت أخيراً أن تقوم بنشرها تعميماً للفائدة . فالقراءة غير الاستماع وخيراً ما فعلت .

لقد تمنيت أن أكون جزءاً من هذه الندوة الهامة . فلدى ما أقوله في إبداعات المعلم المفكر وقد خدمتني الظروف بكرم الصديق الأستاذ " امحمد الغول القائدى " الذي منحنى الملف للقراءة والإطلاع فإذا بي أرجعه له ومعه شئ من ذكريات لا يمكن أن تمحى من الداخل .

والإبداعات دائما تجملها الذكريات ..

كان يمكن أن اندمج في ما قرأت وأن أناقش البعض وأختلف مع البعض وأشيد بالبعض وأتوقف عند رؤية البعض .. لكن ما قرأته " كفّى ووفّى " .

تحية لهذا المبدع ..

وتحية للذين وقفوا عند إبداعاته ، وأخذوا منها الزاد النفسي والعقلي والمتعة الجمالية .. وتحية للرجل الذي وقف وراء هذه الندوة المتقدمة الأستاذ " امحمد الغول القائدى "

ترى هل أضفت شيئا ؟

محمد أحمد الزوى

((.. المجـمـوعـة زاخـرة بلا شك بالمعاني وصور الحياة ، مشحونة بدوافع كثيـرة ونقد عميق ، لكن البـاحث عن مصطلحات النقد قد يتعب في البحث عن مدلولاتها وحتى عن ألفاظها ..))

الأستاذ / محمد العروسي المطوي

الأستاذ / محمد العروسي المطوي

نفسٌ قصصي يُحرضُ على الجدل

في الواقع استطاع القائد معمر القذافي بنهج الجماعية الذي اختاره وأفرز هذا النوع الجديد من التسيير الشعبي مما جعله محل اعتبار ، استطاع أن يقرن خطابه السياسي للجماهير بخطاب ثقافي وأدبي بحيث يلتقي الخطابان معاً ويمشي كل منهما على منهجه . فكان هذا الاتجاه الجديد للقائد وضعه بين جماهير النقاد ليتناقشوا حوله ويبدوا آراءهم فيه . وإذا كان سرد الخبر متولداً عن الأسطورة والحكاية وصولاً إلى القصة والحكاية باختلاف المذاهب والاتجاهات ، فهل تلتقي نصوص القائد معمر الإبداعية مع نمط من تلك الأنماط ؟ ذلك ما يتمخض عنه الرأي بعد طرح هذا النمط من الإبداع على مرأى الجماهير ومسمعهم ، والرأي لايكون ذا جدوى مالم يتمخض عنه الجدل ويقابله النقد لما يطرحه من مضمون في ماهيته وفي مدلوله ، حسب كل إبداع قيّم وثمين . إن مجموعة القرية القرية الأرض الأرض لاتبتعد في جوهرها عن هذا المنهج . إنها تدعو إلى الجدل وتأخذ نصيباً من الاهتمام لما تحويه من جد وعمق وما في نسيجها من شحنات ، لكنها رغم ذلك قد تبدو بعيدة عن الإطار الذي تعقد فيه تلك الأصناف من القصة على المسامع وعلى المدار الفني الفردي . على كل حال فإن المجموعة زاخرة بلا شك بالمعاني وصور الحياة ، مشحونة بدوافع كثيرة ونقد عميق ، لكن الباحث عن مصطلحات النقد قد يتعب في البحث عن مدلولاتها وحتى عن ألفاظها ، فهي تصدر حسب دور هذا اللفظ الذي ذكر مرتين ، يعني القصة أو المقالة في

الكلام يتوقفان على مدلول البحث والدراسة للمختصين . إن النفَس القصصي موجود في أغلب النصوص وخصوصاً نص الموت ونص الفرار إلى جهنم ، كما أن بعض النصوص قد يوحي بأشرطة تمثيلية رائعة وهادفة ، أشرطة تدعو إلى سلامة الحياة وسعادة الإنسان والتغلب على المعوقات .

((.. فالقصص التي كتبها الأخ القائد معمر القذافي ليست مجرد أحداث صيغت صياغة فنية ، أو شرائح من الحياة ، وإنما تنم كل قصة منها عن نظرة عميقة في جوهر الحياة نفسها ..))

الدكتور / سمير سرحان

الدكتور / سمير سرحان

البحث عما وراء الظاهرة

كان لي حظ قراءة المجموعة القصصية التي أصدرها الأخ العقيد معمر القذافي ، وهي مجموعة إن دلت على شئ فإنما تدل على حس أدبي رفيع ، وقدرة فائقة على السيطرة على اللغة وعلى الصور الفنية ، والقدرة أيضاً – وهذا هو الأهم والأعمق – على التحليل المتعمق للحياة من خلال الفكر . فالقصص التي كتبها الأخ العقيد معمر القذافي ليست مجرد أحداث صيغت صياغة فنية أو شرائح من الحياة ، وإنما تنم كل قصة منها عن نظرة عميقة في جوهر الحياة نفسها . فهي تتعدى سطح الأحداث إلى جوهر إبراز الوجود الإنساني ، وبالتالي فهي تنتمي إلى القصص الفكرية التي تضمها فكرة واحدة أو يضمها نسق واحد يبحث عما وراء الظاهرة ، عن كنهها ، عن أسرارها ، عن المعنى وراء الأشياء السطحية أو المعنى الكامن وراء الظواهر ، في الوقت ذاته فإن لدى العقيد القذافي حساً أدبياً رائعاً . كنا نعرفه حتى الآن كرجل سياسة ، ومع صدور هذه المجموعة بتنا نعرفه كأديب لامع وقادر على السيطرة على الواجهة الفنية ، سواء من ناحية البناء الفني للقصة أو من ناحية إدارة الأحداث بحيث تصل في النهاية إلى معنى كلّي ، وأيضاً قدرته على استخدام التعبيرات المجازية التي تحوّل الأحداث من مجرد أحداث متناثرة إلى المعاني كلها . والمجموعة هي في الحقيقة إضافة هامة جداً إلى ثورات الأدب

العربي المعاصر ، وكنا نتمنى أن تقوم هيئة الكتاب بجمهورية مصر العربية بإصدار الطبعة المصرية لهذه المجموعة الجميلة حتى تعم الفائدة والمتعة الأدبية منها على الجمهور الواسع من القراء في مصر .

((.. بعـــد ذلك ، وعنـدمـــا أوغلت فـي القراءة وجدت نَفَساً مغايراً ، وجدت سخرية مُرّة ، وجـدت مـعـاناة عـمـيـقـة من الداخل تهدف إلى التغيير ..))

علي عقلة عرسان

الأستاذ / علي عقلة عرسان

تفاؤل أقوى من مرارات الحياة

تجد في هذه المجموعة قرابة .. قرابة اللحم للطين ، قرابة البدوي للصحراء وقيمها للأشياء البسيطة فيها ، قرابة الإنسان للنبات ، وقرابة المتأمل المفكر لقمر السماء والثريا وصفاء الصحراء والأخلاق التي لازيف فيها ولا نفاق ..

القرية القرية ، أجد أن القرية تكررت هنا مرتين في عنوان القصة تأكيداً على ما يريد أن يقوله بأن القرية هي الحل ، وأيضاً في ذلك شئ من الانحياز للقرية التي عندما يصفها يصبح النص أكثر شاعرية وصفاء ، يتألق الكاتب هنا روحياً ..

بعد ذلك ، وعندما أوغلت في القراءة وجدت نَفَساً مغايراً ، وجدت سخرية مُرة ، وجدت معاناة عميقة من الداخل تهدف إلى التغيير ، ولكن يبدو أن ثمة صعوبات وعقبات في وجه التغيير ، عقبات تتصل بتكوين الإنسان ذاته ، وبالمجتمع ، وبمعطيات تتصل بالبنية الاجتماعية والتربوية والفكرية والقومية العامة، أو ببنية قوى أخرى مغايرة ، قوى عدوانية شريرة ، وجدت نفساً بشرية تحاول بعث الأمل والطاقة والاطمئنان في ذاتها ، ولكنها تحب دائماً التفلت من القيود التي فرضت عليها ، ومن النفاق الذي قد تفرضه المدينة أحياناً ، أو تفرضه ظروف المعطى الجمعي العام ، ذلك الكيان الاجتماعي الكبير الذي يشبهونه بالكائن ذي ملايين الرؤوس ، الذي لاتعرف متى ينقض عليك ولا ما الذي يريده منك ، ولا متى يكتفي بما تعطيه ، الكائن الذي يحاصرك دائماً ، غير أن الكاتب يريد أن يتمرد على ذلك الكائن إلى حد الفرار إلى جهنم من ضيقه بما يلاقيه أو يمكن أن يلاقيه من طغيان الجموع ، وهو يسميه أشد صنوف الطغيان ، ووجدت تعلق الكاتب بالأرض ، وهو

التعلق المبني موضوعياً على ارتباط الحياة بالأرض وبالإنتاج وبالإنسان الذي يصنع مقوماتها بإنتاجه ، هو عنده الفلاح ابن الأرض الذي يزرعها ولايقطع الأشجار فيها . وفي قصص أخرى فوجئت بمدى الغيظ وكم المرارة الذي تكدس لدى مناضل يريد أن يخلّص الناس بوسائل العلم وبرؤيا عملية ولكنه يصطدم بميلهم لقطع الأشجار التي يمكن أن تصنع الحياة ..

والكاتب يسخر سخرية مرّة في قصة عشبة الخلعة والشجرة الملعونة ، نجده يقول بمنتهى المرارة والسخرية : اقطعوا الأشجار وخاصة الشجرة الملعونة ، الزيتونة والنخلة ، هكذا ستقفون على قدم المساواة مع الأمم المتجبرة وستكونون في مأمن من الصواريخ ذات الرؤوس النووية ! سخرية مرة من عبث الناس إذ يدعوهم إلى الفعل فيجدهم يقتلون كل مقومات الفعل المنقذ . إن انطباعاتي تتفاوت بدرجة تفاوت القصص التي تحمل أحياناً طابع الرد المشوق وفي أحيان أخرى تحوي أسلوباً مغايراً ، أسلوباً فيه الكثير من ملامح المرارة الناتجة عن المعاناة ، أسلوباً يتضمن أحياناً ملامح غير المعقول في تناول كيفية التعامل مع الحياة وإنما بأسلوب واع لما يريد لاتحول المرارة فيه من الاحتفاظ برصيد قوي من التفاؤل الأقوىً من كل مرارات الحياة .

ولقد وردت آيات قرآنية في بعض القصص مثل القرية القرية، كما وردت بعض الأمثال ، وورود النص القرآني يعكس التأثر به لدى الكاتب ، ويشير أيضاً إلى سلامة اللغة وحرصه على تلك اللغة . فالعربية تبقى بشكل أو بآخر نبتة القرآن ، أو النبتة التي تشرئب على جذور تلك السنديانة الضخمة العريقة أو الزيتونة التي يضرب جذرها في الأرض ونورها دائم الإضاءة ، فالكاتب مولع بسلامة اللغة حينما يتعلق الأمر بالأسلوب .

وأنا رأيت السيرة الذاتية مقنعة أحياناً وأحياناً أخرى صريحة مباشرة ، الفرار إلى جهنم أنا رأيتها شيئاً ملتصقاً بالسيرة الذاتية لقائد يتعامل مع مجاميع لها تاريخ في عدم الرحمة ، في التصفيق حتى الإكبار وأحياناً أخرى في السحق حتى النسيان ، وهو يذكر عبر التاريخ شخصيات ومراحل من أعمار شخصيات تاريخية تعرضت إلى قسوة الجماهير ، ولذلك هو يحاول أن ينطلق بعيداً إلى ما يسميه الفرار إلى جهنم . أيضاً في

السيرة الذاتية أجد قصصاً مثل قصة الأرض الأرض وقصة القرية القرية وقصة المدينة . إنه يحاول أن يصور الضيق من حياة المدينة ، يجب أن يعود إلى شئ من النقاء ، من البداوة ، من الطفولة ، من سماحة الريف وقانونه الاجتماعي المنصف العادل والقوى في الوقت نفسه ، يعني تجد في القصص نظرة مصلح اجتماعي كبير . فهذه القصص التي أشرت إليها تشُدك دائماً إلى شئ من السيرة الذاتية التي قُدّمت أحياناً في قالب فني وأحياناً في قالب مباشر .

أصل إلى قصة الفرار إلى جهنم . وجهنم هنا ليست مثل جهنم سارتر الذي قال إن الجحيم هو الآخرون . جهنم عنده تصل أحياناً إلى فضاء الصحراء الذي يبعث الطمأنينة ، فضاء عالم بعيد عن النفاق ، فضاء عالم تسود فيه روح القرية ، القمر، الثريا ، الطبيعة الجميلة ، الهدوء ، الصلح مع الذات ، العودة إلى التمازج بين الذات والتأمل والموضوع إلى درجة يشعرك أنه عانى بشدة من الغربة مع أناس لم يقدّروا ما قدَّم لهم ، وبالتالي أصبح بالنسبة إليهم مطلوباً ومطالباً وملاحقاً إلى درجة أنه يتمنى لو يهرب بنفسه قليلاً من تلك الجماعات التي تلاحقه بمطالبها التي لاتنتهي ، وبالتالي قد يحين الوقت الذي تصفق فيه كثيراً ويحين وقت آخر تطلب فيه بمنتهى القسوة ولايرضيها شئ ولايقنعها شئ وهي تحتاج إلى الكثير وتطلب أن تلبّى دون أن تدرك حقيقة أنها هي شريك في صنع الشئ وصنع الحاجة والإنتاج والإنقاذ ووسيلة القتال ووسيلة الخلاص ووسيلة التقدم ..

((.. ذلك الرجل القادم من أفق الإبداع الثوري والفعل السياسي إلى عالم التجربة الوجداني والحلم بالكلمة والصورة والفكر والإيقاع ، الرجل الذي حمل بأصابعه نار الثورة غير مبال باشتعالها في كفيه أو في ملابسه ، فقد كان كل همه أن تزداد تلك النار اشتعالاً وتوهجاً وأن تظل تمتد وتمتد حتى تجتاح هذا الجزء المظلم المهان من الواقع الذي ينتمي وننتمي إليه جميعاً ..))

الأستاذ / محمد الفيتوري

الأستاذ / محمد الفيتوري

التاريخ سيقف أمام إشرقات روحه

هذا الرجل الظاهرة الاستثنائية معمر القذافي ، ترى هل كانت الأقدار قد أرادت له أن يكون غير ما أراد ؟ ترى هل كان فيمن طبع على جبينهم أن يكونوا غير ما أصبحوا عليه؟ هل كان مقدراً له أن يصبح عالماً بارزاً أو روائياً مهماً أو شاعراً أو فيلسوفاً غير أنه آثر لنفسه أن يختار أن يكون شيئاً آخر متناسقاً في ذاته متكاملاً في صفاته مجسداً في حقيقته ما بين هذا وذاك وأن يكون المفكر والقائد والكاتب والثائر والحالم والواقعي والمتمرد والفيلسوف ؟ ولاأشك إطلاقاً في أن التاريخ سوف يقف طويلاً إزاء رؤية الأخ القائد معمر القذافي الاجتماعية واكتشافاته الفلسفية كما ارتآها وكما اكتشفها . ولا أشك في أن التاريخ سوف يقف أيضاً أمام إشراقات روحه وتأملاته العميقة ، ذلك الرجل القادم من أفق الإبداع الثوري والفعل السياسي إلى عالم التجربة الوجدانية والحلم بالكلمة والصورة والفكر والإيقاع، الرجل الذي حمل بأصابعه نار الثورة غير مبالٍ باشتعالها في كفيه أو في ملابسه ، فقد كان كل همه أن تزداد تلك النار اشتعالاً وتوهجاً ، وأن تظل تمتد وتمتد حتى تجتاح هذا الجزء المظلم والمهان من الواقع الحضاري الذي ينتمي وننتمي إليه جميعاً ، واقع أمته وشعبه ، وكي ينقلب هذا الواقع على نفسه وضد نفسه ومن أجل نفسه باسم تلك القيم العليا باسم ثورة الفاتح وتحديات المصير العربي وحتمية اجتياز هذه المرحلة القاسية من عذابات الأرض ومعاناة الإنسان ، ربما جاز لشاعر مثلي اقترب كثيراً منه وانعكس على مرآة عصره أن يؤكد أن مثل هذا الحدث ليس متنافياً أبداً مع قوانين الطبيعة الإنسانية ، أعني أن تأتي إلى كوكبنا هذا بعض الشخصيات التي تنطوي على أكثر من قدرة وأكثر من طاقة إبداعية في ذات الوقت ((وتزعم أنك جُرْمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر)) ، وإذا استثنينا كبرى الشخصيات التاريخية وهي شخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه

وسلم ، فإن ثمة نماذج احتوتها بطون الكتب دالة على تفرّد أولئك الموهوبين الاستثنائيين الذين أفاضت عليهم الأقدار، وربما ساعدتهم الظروف أيضاً ، فتدفقت مواهبهم وإلهاماتهم في أكثر من ساحة للفعل الإبداعي ولمستلزمات النضال ، حتى ليكاد يصعب على الباحث أو المؤرخ تحديد الصفة أو الخاصية العليا التي تجسد التميّز الحقيقي لهذا النموذج أو ذاك ، مما أتاح له أن يستأثر بمكانة متفردة بين رجالات الكون الخالدين ، تلك مجرد إضاءة ، وأنا كشاعر لا ناقد ، ربما لا يصح لي أن أتجاوز هذه الحدود في الوقوف أمام هذه التجربة الإبداعية لمعمر القذافي ، لايصح لي أن أتجاوزها إلى تلمّس أو استقصاء التفاصيل والجزئيات ضمن تلك الصورة البانورامية الضخمة التي تضعنا أمامها تلك المجموعة النادرة للكاتب المفكر الفنان معمر القذافي ، مجموعة القرية القرية ، الأرض الأرض، وانتحار رائد الفضاء .. وأنا أريد التحدث عن قصة المسحراتي ، ويجب أن نضع خطاً تحت المسحراتي ونحبه ، حتى الأطفال كانوا يحبون شهر رمضان وينتظرونه بفارغ الصبر من أجل المسحراتي وصوته الموقظ للنوّام وطبله البسيط جميل الإيقاعات الرتيبة المصاحبة لذلك الصوت المألوف كل عام وكل ليلة من ليالي رمضان الكريم، وكلنا يسمع تلك الدعوات الحسنة المحبَّبة وننصت إلى مفرداتها الطيبة ويرددها الأطفال مدة طويلة ونستخدمها في المناسبات التي تنطبق عليها ، فنقول (اصحى يا نايم) كلما أردنا حثّ أحد على النهوض واليقظة . فالمسحراتي شخصية فريدة لأنه يريد أن يوقظنا . فالقائد يريد أن يلقي بعض الضوء على ما في شخصية المسحراتي، هل هي تلك الشخصية التقليدية التي توقظنا بالفعل في شهر رمضان فتدق على طبلها؟ أم أنه يعني مسحراتياً تاريخياً إن صح التعبير فهو يعني الرجل الذي تبعث به الأخلاق في لحظة من لحظات توهج الإبداع القدري لكي يقوم بدوره في الإيقاظ . ومسؤولية المسحراتي هي مسؤولية أدبية تتعلق بالضمير والسريرة والالتزام الذاتي . إنه يضع الأسس القيمية والأخلاقية التي ينبغي توفرها في ذلك الرجل المسحراتي ، ليس المسحراتي العادي وإنما مسحراتي التاريخ ، يوقظ الأمة ويحرك المشاعر ويدق طبول الإرادة الإنسانية . إنه حريص على إيقاظ كل نائم ، ويتجشّم ويقطع المسافات مشياً

على قدميه ويتخلل كل الأزقة والخلوات ليوقظ أصحابها وليمشي مسبّحاً باسمه تعالى مواصلاً مسيرته حتى يسمع صوته للجميع، ويلقى صاحب هذا الكتاب النادر بهذه الجملة : ((إن المسحراتي لايوقظه أحد طبعاً .. هذا أمر طبيعي .. الرجل الذي يوقظ الآخرين يجب أن يكون هو المستيقظ وحده في هذا الكون فهو الذي يوقظ النيام وهو ليس مثل عامة الناس الذين يحتاجون إلى طبل ودعاء ودعوات تتكرر حتى يصحوا ..)) .

نستغرب فعلاً - كنا كذلك - في شخص المسحراتي من أيقظه ؟ ألا ينام هو ؟ هو بشر مثلنا وطبعاً ينام ، يتعب مثلنا وينام بل ويمرض أحياناً، والعجيب أن عمل المسحراتي يكون في وقت نوم الآخرين ، يقوم بمهمته المقدسة تلك في أوقات الاستغراق في النوم والارتخاء والركون إلى الراحة، وهو يمشي في الظلام،المسحراتي يمشي في السَّحر وفي ذيول الليل البهيم يتعثر ويستمر ويكبو وينهض ، ربما لهذا السبب يكره بعضنا المسحراتي كما يكره مؤذن الليل ، إلا أن الأذان يتكرر عدة مرات في اليوم وقد تعوّدناه وليس بنادر ، وهو يؤذن على مدار اليوم من الصبح إلى العشاء . والمؤذن أصبح يذيع الأذان من مكانه بينما المسحراتي يتحّرك ويبدع ويدق الطبل ويدعو ويسبح ويقول كل ما من شأنه إيقاظ النيام ولكن بأسلوب طيّب محبّب حتى للأطفال الذين يحاولون حفظ تلك الدعوات لحلاوتها وهم يرددونها حتى ولو لم يفهموا معناها . صوت المسحراتي ساحر كالسحر ، فهو لايستعين بمكبرات الصوت المنفّرة الصاخبة كتلك التي يستخدمها المؤذنون الذين يؤذنون من أماكنهم فأفقدهم ذلك الروح والوهج والصلة الحقيقية بالآخرين ، وهذا ما يجب أن نفكر به عندما نقول إن المؤذن ليس هو ذلك الذي يعنيه معمر القذافي ، ويقول إن ذلك الرجل لا يتحرك ولا يمر بأبواب الناس ولايتوقف أمامها كما يفعل المسحراتي، ثم إن الأذان يتكون من عبارات محفوظة محددة لا إبداع ولا جديد فيها ..

حتى الذين يكرهون المسحراتي لأنه يحرمهم من نوم الهزيع الأخير من الليل ويحثهم على الاستعداد ليوم الغد ، يوم الصوم التالي ، يذكرونه بالخير بعد فوات الأوان . هذا عن المسحراتي في السَّحر .. ولكن معمر القذافي يسأل عن المسحراتي ظهراً ، وتلك هي المفارقة ..

ثم إني أسمح لنفسي باقتباس بعض الفقرات من قصة الفرار إلى جهنم ، ذلك أني ممن يميلون إلى أن أفضل الوسائل للالتحام بالتجربة الإنسانية هي أن نترك لحواسنا وملكاتنا الفطرية وحدها متعة اكتشاف عناصر الإبداع الجمالي واستشفاف ما هو غامض وسري وكامن وراء المنظومة اللفظية من مشاعر وأفكار ودلالات اجتماعية بمعزل عن فرضيات أو وجهات نظر الآخرين من الباحثين والمفسّرين والنُقاد ، مثلاً أطل على الفرار إلى جهنم فأطل على عمل هو ما بين القصة والرؤية الاجتماعية والفكرة الفلسفية وبين النفاذ إلى الواقع الإنساني من خلال واقع ربما كان محلياً . يقول معمر القذافي إنه يجب وضع خطوط تحت كثير من الكلمات ، يقول إنه كما أحب حرية الجموع وانطلاقها بلا سيّد وقد كسرت أصفادها وغنّت بعد التأوه والعناء ، غير أنه يخشاها ويتوجّس منها . ويستطرد معمر القذافي : إني أحب الجموع كما أحب أبي وأخشاها كما أخشاه .. من يستطيع في مجتمع بدوي بلا حكومة أن يمنع أباً من الانتقام من أحد أبنائه . نعم كم يحبونه وكم يخشونه في ذات الوقت . هكذا أحب الجموع . يقول معمر القذافي : وأخشاها كما أحب أبي وأخشاه ، ويستطرد .. كم هي عطوفة في لحظة السرور فتحمل أبناءها على أعناقها ، لقد حملت هانيبال وباركليز وسافونا رولا ودالتون وروبسبير وموسوليني ونيكسون، وكم هي قاسية في لحظة الغضب فتآمرت على هانيبال وجرَّعته السم وأحرقت سافونا رولا على السفود وقدمت بطلها دالتون للمقصلة وحطمت فك روبسبير خطيبها المحبوب وجرجرت جثة موسوليني في الشوارع وبصقت على وجه نيكسون وهو يغادر البيت الأبيض بعد أن أدخلته إليه وهي تصفّق . وببساطة عميقة وجارحة في آن يقول : يا للهول ، يتساءل عمن يناقش عقلاً جماعياً غير مجسد في أي فرد ؟ من يمسك بيد الملايين ؟ من يسمع مليون كلمة من مليون فم في وقت واحد ؟ في هذا الطغيان الشامل من يتفاهم مع من ؟ من يلوم من ؟ .. من (المن) ذاته أمام هذا اللهيب الاجتماعي الذي يحرق ظهري . وهنا معمر القذافي يسلّط الضوء على شخص نراه نحن باستمرار في ضوء التاريخ ، يقف أمام (مجتمع يحبك ولا يرحمك) ، أمام أناس يعرفون ماذا يريدون من الفرد ولايأبهون لما يريده الفرد منهم . أترون إلى أي مدى

يحصل هذا التناقض العجيب؟ هذا التداخل المخيف بين من يعرفون ماذا يريدون من الفرد ولكنهم لايأبهون لما يريده الفرد منهم ، ذلك يعني ذوبانهم فيه ، يعني أنهم بقدر تجسدهم فيه يمتصونه فيهم، فهم الذين يعرفون مايريدون ويفهمون حقوقهم عليك ولايفهمون واجبهم نحوك ، أترون ؟ لا أقول المأساة ، ولكن هذه الأعجوبة ، هذا التداخل المخيف بين البطل والناس ، الفرد والجماهير العظيمة ، أولئك الذين أيقظهم من السُبات، ((نفس الجموع التي سمّمت هانيبال وأحرقت سافونا رولا وهشّمت رأس روبسبير والتي أحبتك دون أن تخصص لك حتى كرسياً في دار خيالة أو منضدة في مقهى..)) .

ويستمر في استغراقه الروحي التاريخي أيضاً .. ((تحبك تلك الجماهير دون أن تعبر عن ذلك بشئ مادي بسيط ككرسي أو منضدة .. هذا ما فعلته وتفعله الجموع بمثل هؤلاء)) ، ونحن نعرف ماذا يعني معمر القذافي بهؤلاء . ويستمر بطل هذه القصة البدوي الفقير التائه في مدينة عصرية مجنونة في الوصف فيقول : (أهلها ينهشونني كلما وجدوني) أترون أية معاناة ؟ ابن لنا يقولون له، ابن لنا بيتاً غير هذا ، امدد لنا خطاً أرفع من ذلك ، ارصف لنا طريقاً في البحر ..ازرع لنا حديقة ، اصطد لنا حوتاً ، اكتب لنا تعويذة، اعقد لنا قراناً ، اقتل لنا كلباً ، اشتر لنا هراً ، يا إلهي .. ذلك البدوي الفقير التائه الذي لايحمل حتى شهادة الميلاد .. ويستطرد ، يستطرد مستغرقاً أيضاً في ذلك العالم الذي يراه هو وحده ولاتراه الجماهير إلا من خلال عينيه ، (ظلمت نفسي) .. (فأنا سرقت عصا موسى) .. تصوروا ((..وضربت بها الصحراء فانفجر نبع ..) عصا موسى والصحراء والنبع الذي ينفجر ، عصا موسى هي فكرة الثورة كما أراها أنا ، ضرب بها الصحراء ، ضرب بها هذا الواقع المهين ليخرج ضوء ، وانفجر نبع ، نبع الحياة ، نبع الازدهار ، نبع الحيوية في هذا العصر ، النبع الذي حمل شعار الكتاب الأخضر والنظرية العالمية الثالثة ، حمل رؤية ثائر جديد في عصر جديد لم يسبق لمثله أن وقف أمام باب التاريخ، ويستطرد .. (وأنا الذي شجعتهم على أكل الحوت وصيده ..) ماذا يعني معمر القذافي من التشجيع على أكل الحوت وصيد الحوت ؟ إنه يشير إلى الصحراء ، إلى

واقع بعيد عن الماء، الماء يسقط من السماء ، وقد ينبع من بحيرة أو من بئر ، ولكنه ليس الماء الذي يتدفق في البحار والمحيطات . أنا الذي شجعتهم على أكل الحوت وصيده يعني أنا الذي حملت نهر الحضارة ، فالحضارة نهر ، وأنا الذي دققت باب التاريخ فانفتح ليرى الناس كم وراء هذا الباب من معالم ومن أفكار ومن قيم حتى يتركوا لي .. شياهي . تصوروا ، لم يرد سوى أن يعود إلى شياهه . إن كل ما يحيط به لايعني شيئاً ولا يساوي شيئاً أمام الأصالة والقيم الوجدانية والروحية والتاريخية والمتجسّدة في شخصه والتي هي أيضاً حلمه وطموحه .. (لست من سلالة ملكية .. إنسان فقير بسيط من سلالة بدوية) وهكذا يضع إصبعه على قمة الفعل الدرامي . أنا لست أحلّل هذا العمل ولكني فقط أحاول أن أقرأه مع الآخرين ، (لماذا تطاردونني وتعرّفون عليّ صبيانكم حتى أصبحوا هم أيضاً يضايقونني في كل مكان ويجرون ورائي في كل مكان ويقسمون : إنه هو ، لماذا تحرمونني من الراحة..)) أي معاناة تحملها هذه الكلمات ؟ حيث يكاد هذا الكاتب المفكر الفنان يقول ما قاله ذلك الشاعر العظيم أبو الطيب المتنبي يوماً ما (ماذا لقيت من الدنيا واعجبا أني بما أنا باكٍ منه محسود) نفس الرؤية، نفس الموقف ، ما يراه الناس مدعاة للحسد والطموح والرغبة في التقليد أو في الاقتراب أو في التمني هو في الحقيقة بالنسبة للرجل العظيم ليس أكثر من ثوب من أثواب المعاناة ، قيدٌ في الفم وحول العنق وربما حول القدمين ، (لماذا تطاردونني وتحرمونني من الراحة بل حتى من المشي في شوارعكم .. أنا بشرٌ مثلكم ..)) هذا صحيح أنت بشر مثلهم .. مثلنا جميعاً ولكن الأقدار هي التي أرادت أن تضع حول عنقك هذه المسؤولية ، وعليك أن تتحملها .. وأقول إن أحداً لايستطيع أن يزعم أنه يقدّم لكتابات معمر القذافي صاحب الفكر الأخضر، صاحب النظرية العالمية الثالثة ، صاحب الفكر الإنساني الجديد،صاحب الثورة العالمية ، لاينبغي أن يتصور أحد أنه يقدم هذا الرجل إلى قائد أو إلى جمهور أو إلى عصر . إن تواضع الرجل كبير ، وينبغي معرفة ما تنطوي عليه حقيقة هذا التواضع من عظمة ومن تفوّق ومن شموخ ، عظمة تخجل من إعلان تواضعها حتى في أرقى درجات إبداعها وتجلّيها .. وهذا هو معمر القذافي .

((تحس أنك أمام كاتب مهموم
بقضية تحطيم القوالب مهما كانت
قديمة .. والخروج منها ..))

الدكتور / أحمد إبراهيم الفقيه

الدكتور / أحمد إبراهيم الفقيه

معضلة التوفيق بين التفصيل والتجريد

تحس أنك أمام كاتب مهموم بقضية تحطيم القوالب مهما كانت قديمة ، والخروج منها . هي نصوص تنفتح على كثير من الأجناس الأدبية ، يعني تختلط فيها المقالة مع القصة مع القصيدة مع التأملات مع الصورة العلمية مع الحكاية .. قصة مثل قصة الموت ، هذا سؤال قوي وخطير في حياة البشرية ، الفناء الذي يواجه البشر . الموت الذي يؤول إليه كل كائن حي ، كيف تعامل مع هذا النص ؟ تعامل معه بدرجة من عدم التورط العاطفي في هذا الموضوع ، لا رعب مع أنه يتكلم عن موت الأب ، تصور الموت منذ البداية، بدأ يتحدث عن الموت هل هو ذكر أم أنثى ؟ هذا الصراع بين الإنسان والموت وكأنه صراع بين كائن وكائن آخر . إنسان يصارع من أجل البقاء متحدياً الموت ، تحس في لحظة أنه عندما جاءه الموت ، وكأنه قد انتصر على الموت ، كأنه هو الذي استدعى ذلك الموت ، وأنه هو الذي اختار وقت الموت ، يعني في القصة صراع الإرادة الإنسانية ضد الفناء . وبقدر ما في القصة من تصوير للنفس البشرية في شخصية الأب ، بقدر ما فيها السؤال الفلسفي الكبير . فالتعامل معها إذن يحتاج إلى منطق فلسفي . أنت تتعامل مع المنطق الإبداعي الذي يصور شخصية قصصية تتحرك في أرض الواقع بمعاناتها ، بهواجسها ، بألمها ، كيف دخل ذات يوم معركة مع واحد آخر ؟ كيف في يوم آخر تعرض للدغة عقرب أو أفعى ودخل السم إلى جسده ؟ إنه يتعامل مع شخصية حية تعيش وقائع وأحداثاً وتفاصيل ، لكن من خلال هذه الأحداث والتفاصيل تنتقل إلى عوالم باردة ، عوالم الفكر المفلسفة إلى تجريد . فكيف إذن التوفيق بين التفصيل الذي يتطلبه الواقع القصصي وبين التجريد الذي تتطلبه الفلسفة ؟.

وواضح في قصص المجموعة بروز روح السخرية ، يعني السخرية الحارقة اللاذعة التي تفضح وتكشف وترفع الغطاء ، روح نقدية ربما إلى حد جارح لكشف ما في الحياة من تشوه وقبح وبؤس ..

لقد توافرت مجموعة من العناصر التي جعلتها تتميز بحيوية خاصة وبخصوبة وباعتبارها إضافة جميلة للإبداع العربي . وأنت لاتستطيع أن تعزل كاتب هذا النص عن نصه . هذه شخصية تاريخية لها حضورها في الذاكرة العربية وعلى مستوى العصر ، ومن الضروري بالتالي أن نتمعن في المرجعية لهذا النص . إن مرجعيته في هذا الكاتب والمؤلف الذي هو القائد معمر القذافي . ففي النص تعزيز للولاء وللمبادئ وللقيم التي يؤمن بها . إنما هنا يأتي إليها ويعالجها ويقترب منها بطريقة الإبداع ، والبعد القومي موجود بقوة في كثير من النصوص التي تكلمنا عنها . البعد الإنساني حاضر بقوة أيضاً . كان يتحدث عن القرية وعن الريف وعن المدينة وعن رائد الفضاء وعن هذا العالم كيف يمكن صيانته والحفاظ عليه ، وأن لامأوى ولامسكن لنا إلا هذه الأرض مهما ذهبنا بمراكبنا الفضائية للسباحة بين الأجرام السماوية ، فهذه الأرض هي بيت الإنسان ومأواه، وهي التي يجب الحفاظ عليها ورعايتها ضد الثقافة الأسمنتية التي تقضي على الشجر والطير والنماء والخصوبة ، يعني هناك الكثير من المعالجات الأدبية ، يعني إضفاء نوع من الرومانسية على القرية وعلى الريف لتحببنا فيه ، فإذا بحثنا النواحي الفنية نجد كما قلت أن بعض النصوص يلتزم بتفاصيل القصة القصيرة، ولكن بعضها الآخر تجده تجارب في النص المفتوح ، أي النص الذي يمكن أن ينفتح على حدود الأجناس الأدبية أو يتجاوزها ، يعني نوعاً من التعامل مع اللغة بشكل متفرّد باعتبار أن اللغة هي الأداة الرئيسة للكاتب ، وهي الأداة الوحيدة في وضع شكل فني ، فهو تعامل مع اللغة بطريقة جعلتها مشحونة بفيض عاطفي ومشحونة بالغضب ، وباستنفار حالة اليقظة فيك مشحونة بالمخزون العاطفي والانفعال ..

واستفاد النص كثيراً من القرآن . هذا الرجل حافظ للقرآن الكريم وتحس أنه يغترف من هذا الينبوع العظيم لغة وتاريخاً وتراثاً وموارد روحية، يوجد شحن للنص بموارد روحية وقدرات جمالية يضفيها النص القرآني..

إنه يتعامل مع اللغة ومع الإبداع بدون تحفظات . ففي النص بوح ومصارحة وصدق وأمانة في نقل المشاعر والأحاسيس والانفعالات ، ويمكن لي أن أختم بأني قد وجدت في المجموعة وعياً بإنجازات المدارس الحديثة في القصة.

((.. فقد قرأتها منفصلاً عن الشخصية التاريخية لكاتبها باحثاً عن صلتها بالعمل القصصي ، وما يمكن أن تشكله من إضافة إلى الإبداع القصصي، فانتهيت إلى أن صاحبها يتوفر على موهبة القص بما يساعده على بلوغ درجة عالية من الشفافية التي لاتتاح للقصاصين المحترفين إلا بعد عناء وممارسة طويلة ..))

الدكتور/ خليفة التليسي

الدكتور / خليفة التليسي

قدرة رائعة على كتابة السيرة الذاتية

تتعدد مستويات القراءة للنص الأدبي بتعدد المذاهب، واتجاهات المتعاملين معه . وأغنى هذه النصوص ما توفرت له القدرة على إثارة تفسيرات متعددة تزيد من غنى وتعدد مستويات القراءة له ، على أن أغلب هذه القراءات لاتخرج عن النظر إلى الإبداع منفصلاً ومتصلاً بصاحبه ، فتدنو به من السيرة الذاتية في حال الاتصال ، أو منفصلاً عن صاحبه متميزاً بملامحه الخاصة التي تبعد به عن السيرة الذاتية وتصله بالفن مجرداً من كل صفة ذاتية . وتأتي بعد ذلك القراءة الفنية لتحدد شكل العمل الفني ومدى صلته بالإطار التقليدي المتعارف عليه أو خروجه إلى نمط خاص يزيد في أشكال الإبداع ويطورها . وحين قرأت المجموعة القصصية للكاتب معمر القذافي وجدتني أتعامل معها تلقائياً وفق مستويات القراءة التي تقدمت الإشارة إليها، فقد قرأتها منفصلاً عن الشخصية التاريخية لكاتبها باحثاً عن صلتها بالعمل القصصي ، ومايمكن أن تشكله من إضافة إلى الإبداع القصصي ، فانتهيت إلى أن صاحبها يتوفر على موهبة القص بما يساعده على بلوغ درجة عالية من الشفافية التي لاتتاح للقصاصين المحترفين إلا بعد عناء وممارسة طويلة لهذا الفن . وقليل منهم من استطاع بالفعل أن يبلغ بالقصة تلك المستويات الشعرية البالغة النفاذ والرهافة ، وذلك هو الانطباع الذي يخرج به للوهلة الأولى قارئ هذا النص حين يكتشف ما يتميز به النص من قدرة على البوح الوجداني الذي يجعل من النص القصصي قطعة من الشعر العالي، وقد اعتبرت دائماً في تذوقي للنص القصصي بلوغه هذه المستويات الشعرية العالية ، وهو أمر لم يتحقق إلا للقليل من المبدعين الذين مكنتهم ثقافتهم وعمق معاناتهم الوجدانية من بلوغ هذه الدرجة الرفيعة في إدراك

هذا النمط من القصص الذي يعتمد التلقائية والعفوية وخلوص النفس في لحظات صفائها إلى شكل رفيع من البوح الوجداني . وقد أثبتت هذه المجموعة بما توفر عليه صاحبها من رصيد كبير لم يستغل كل مخزونه بعد أنه يمكن لك أن تشعر وأنت تقرأ المجموعة أن صاحبها قد اكتشف أسلوبه الخاص بضربة معلم . وما أكثر ما يبذل الكتاب والمبدعون من جهد في اكتشاف أسلوبهم . وما أكثر ما حدثنا بعض المبدعين أنفسهم عن هذا العناء الذي بذلوه لأجل اكتشاف أسلوبهم المميز لإبداعهم الأدبي فيما بعد . وأذكر في هذا السياق تجربة الكاتب الإيطالي الكبير (جيوفاني فيرغر) فقد أتعب نفسه وأرهقها في البحث عن أسلوبه حتى إذا عثر ذات يوم على يوميات ربان سفينة فاكتشف بساطتها وعفويتها وتلقائيتها وعذوبتها فقرر أن يحاكيها ، ما ميز بعد ذلك أسلوبه وصار له لاحقاً لغة خاصة به لاتعدوه إلى غيره . وتشعر أن كاتب هذه المجموعة قد اكتشف بدوره لغته الخاصة المميزة له فيما سوف يكتب بعد ذلك من أعمال تسير على نفس النسق وتؤهله بجدارة كاملة لأن يكون في طليعة المبدعين ، بل ربما تجاوزهم بعمق الرؤية والمعالجة . ليته يتابع نشر هذه اللوحات بهذه القدرة على التناول الفني والشاعرية وبهذا البوح الوجداني ، ويقدم وثيقة وجدانية بالغة الأثر عالية القيمة ، ولعله يفعل ، وفي الحالتين ، أي بالقراءتين ، فإننا أمام نصوص أدبية رفيعة المستوى عالية القيمة عميقة الدلالة على العوالم الوجدانية لصاحبها متميزة بالرفافة والشفافية الشعرية تحرج بلغتها المتميزة والعفوية كتاب القصة المحترفين ..

إن القراءة التي وجدتني أميل إليها هي تلك التي تقوم على صلة المبدع بإبداعه وعدم انعزاله عن هذا الإبداع . وقد اكتشفت بهذه القراءة قدرة رائعة جداً على كتابة السيرة الذاتية . وفي هذا الإطار ، تبدو قصتا الموت والفرار إلى جهنم ، وكذلك الخواطر عن المدينة مجرد مداخل أو لوحات أولى تعقبها لوحات أخرى ترصد حياة كاتبها المبدع بهذا التناول الفني الجميل ، لينتهي بعد ذلك إلى سيرة من أجمل السير الذاتية التي يمكن أن تسلك نهج السير الذاتية الرفيعة التي قرأناها لبعض الكتّاب والشعراء

العرب والأجانب ، وفي الوقت نفسه تخرج بأدب السيرة الذاتية من أسلوب السرد التقريري الذي لاحظناه في بعض سير المشاهير من الكتاب العرب إلى هذا المستوى المتميز . فمن الواضح أن البطل في قصة الموت هو الكاتب ، الذي قدمه إلينا في لوحة جميلة رائعة ما كان يمكن أن يقدمها بأجمل مما قدم لو عمد إلى سرد أحداث حياته سرداً تاريخياً . وليس ثمة وفاء أرفع من إدراك وتصوير بطولة الأب في أسمى درجات تجليّها وتحققها ، فليته يتابع نشر هذه اللوحات بهذه القدرة على التناول وهذه الشاعرية وبهذا البوح الوجداني حتى يضيف المبدع الذي في أعماقه عملاً آخر من أعمال البطل في مقاومة الموت، ويقدم وثيقة وجدانية بالغة الأثر عالية القيمة .. ولعله يفعل . أعود إلى النصوص . فالنص الخاص الذي يحمل عنوان الموت هو نص متميز بين النصوص القليلة والنادرة التي عالجت مشكلة البطولة في مواجهة الموت . وتتوفر هذه القصة على نص من أجمل النصوص التي تعامل فيها كاتب مع الموت بهذا العمق وهذا التناول الفني الجميل . تبدأ القصة بالسؤال عن صفة الموت هل هو ذكر أو أنثى ؟ وورده في اللغة العربية بصفتين فهو أحياناً الموت بالتذكير وأحياناً المنيّة بالتأنيث ، فأين هي حقيقة هذا الموت الذي يهددنا جميعاً ويخيفنا ؟ وإليه مآلنا جميعاً ؟ تختلف الميثالوجيات واللغات العالمية القديمة في نظرتها إلى الموت، فبعضها يذكّره وبعضها الآخر يؤنثه . وهناك نصوص عالمية أدبية تغازله باعتباره حسناء جميلة . وعلى الرغم من هذه المترادفات اللغوية العديدة للموت التي تتردد بين التأنيث والتذكير إلا أن تصور الموت في الفكر العربي تصوّر ذكوري أو غالب عليه الصفة الذكورية . ومن هنا كانت نزعة المنازلة له ويخلع هذا السؤال وحده على القصة معاني كثيرة بما يستدعيه ويستدرجه من تصور إنساني واسع لصفة الموت في الأدب العربي والآداب العالمية ولدى مختلف الأديان والميثالوجيات ، وبما يمنح القصة عمقاً تنداح دوائره وتتسع بتوسع الغوص في أهدافها ومراميها . وتجدنا مباشرة في مواجهة مشكلة الموت من خلال نموذجين، نموذج ظاهر هو البطل المنصور ، ونموذج خفي ولكنه

مهيمن بسؤاله الفلسفي على كل القصة . إن هذا البطل الخفي أو البطل صاحب الإبداع قد جسّد بطولة النموذج المنصور ، إلا أنه انتقل بوعيه إلى مرحلة جذرية فلسفية أعمق . فالبطل يرفض في أعماقه أن يكون الموت نهاية طبيعية للحياة وينظر إليه على أنه عائق وحاجز لتحقيق صورة (السوبرمان) فيه ، فيسعى إلى مقاومته على الأقل في كل ما يبدأ ويشيد، ولم يحتج الكاتب أن يستعيد أمجاداً يضفيها على النموذج المختار أو أن يقدمه في موكب من الأوصاف ، ولكنه قدمه إلينا ببساطة في منازلته للموت في مواقف مختلفة من حياته ، وفرار الموت منه ، ولم يتمكن الموت من البطل إلا عندما اتخذ مفهوم الأنثى التي يقبل البطل بالاستسلام لها ، وهو ما يتفق مع الموروث العربي في منازلة الموت ورفض الاستسلام له .

وقد قفز ذهني عفوياً وأنا أقرأ هذا الوصف للبطل النموذج إلى المتنبي الذي صور أيضاً مشكلته أمام الموت كبطل عبقري .. يحاذرني حتفي كأني حتفه وتنكشني الأفعى فيقتلها سمي ، وبطولة النموذج الموصوف هي تحقيق كامل للمعنى العظيم المتضمن في قصيدة البيت الواحد هذه ..

((.. والكاتب يدرك هذه الحـقـيـقـة ولايتـملّص منهـا ، ولكنه ينفـر من بعض الرغبات المستحيلة التي تريد أن تضعه في مصاف السحرة أو الذين يحملون عصا موسى ..))

الأستاذ / كامل عراب

الأستاذ / كامل عراب

عمق اللحظة الإنسانية

لحظة بوح حقيقية ، وهي لحظة تصوير لرغبات النفس الإنسانية البسيطة ، عندما تكبحها أسباب قاهرة فوق درجة الاحتمال ، هكذا أرى المجموعة القصصية التي كتبها القائد معمر القذافي . فإذا ما انتقلت إلى القصص ، فقد لفت نظري في قصة الفرار إلى جهنم هذا المستوى من الإفصاح عن خلجات النفس وهذا الكشف عن الضيق والمعاناة ، وهذه المكاشفة بالأحاسيس والمشاعر الذاتية الخفية ، حين تتطلع النفس المتحررة من كل ماهو خارج الذات فتصبح هذه الأمنيات الصغيرة مستحيلة أمام واقع لا سيبل إلى مقاومته فإنها تنكفئ إلى مناجاة مريرة أو ما يشبه العزلة ، وهنا تكون الهموم ثقيلة لاشفاء منها سوى بهذا المستوى من البوح والتعبير والمكاشفة ، لذلك جاءت المعالجة في الفرار إلى جهنم بهذا المستوى من التوتر وهذه القسوة في السرد وفي انتقاء العبارة واستخدام الصور والتشبيهات . فالكلمة تكاد تنوء بما تحمله وبما هي مثقلة به من شحنات انفعالية ، وتكاد الصورة تصرخ وتكاد التشبيهات تنزف ، فالضيق والتبرُّم واكتشاف المثابرة على هذه التصرفات التلقائية والرغبات الذاتية التي تمثل تجليات الممارسة الفردية في طبيعة غير مشوَّهة ، في العقد ، في الاقتناع . لقد وجدنا البدوي البسيط الذي لم ينغمس بعد في صخب المدينة المكتظة بالأمراض والعُقد والذي مازال على سجيته في سلوكه ونظرته إلى الحياة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية ، وجد هذا الإنسان نفسه مكبلاً على نحو أشد قسوة مما كان يتوقع ومحاصراً ومصادراً في نفس الوقت ، ولذلك ضجَّت أعماقه بالشكوى ، ولكن لمن يشكو هذا العاشق المتوجّعُ الذي يشق السكون بأنين الاستغاثة ؟ لا أحد يشعر بمعاناته ومحنته الحقيقية ، إنه لايجد ذاتاً واحدة يوجه إليها الخطاب ، ياللهول ، من يخاطب الذات إلا شاعر ، إنه محاط بحب أشد مما كان يحلم به وأكثر مما كان يتخيّله ، وهو

يسعى إلى تحقيق حلمه ولكن هذا الحب تحوّل إلى محاصرة في أشد مستويات قسوتها في وجه رغبات بسيطة ، أن يكون لهذا البدوي مجرد كرسي صغير في دار عرض ، ومنضدة ، مجرد منضدة في مقهى ، ولحظات من الحرية مليئة بالحضور بلا محاصرة وبلا ملايين العيون الفضولية التي تحيط بالإنسان إحاطة السوار بالمعصم ، وبلا أكف وبلا هتاف . أجل، أين السكون أمام الجلبة والصراخ والهتاف حتى ولو كان هذا الصراخ وهذا الهتاف تعبيراً عن الحب ؟ لماذا تحرمونني من الراحة ؟ بل حتى من المشي في شوارعكم ؟ أنا بشرٌ مثلكم أحب التفاح لماذا تمنعونني من دخول السوق ؟ لماذا لاتعطونني جواز سفر ؟ ولكن ماذا أعمل به ؟ فأنا ممنوع من الخروج لغرض السياحة أو العلاج ، إلا إذا كنت مكلفاً بمهمة فقط ، لذا قررت أن أفرَّ بنفسي إلى جهنم ..

على أن هذا (المونولوج) الداخلي الطويل في قصة الفرار إلى جهنم يتطور بنا إلى مستويات أخرى من المعاناة ، ليست فقط هي هذه الرغبات الإنسانية الصغيرة المكبوتة والمتناثرة في لحظة السكون عند منضدة صغيرة في مقهى من مقاهي المدن الصاخبة أو كرسي في دار عرض أو دخول السوق لشراء أرطال من الفاكهة ، على ما في هذه الرغبات الصغيرة من إيماء إلى حاجة صاحبها إلى السكون لممارسة التلقائية المتحررة للحياة بنقاء البدوي وصفائه وسذاجته التي لم تلوّثها العقد . وفي الحقيقة يأتي انتقال البدوي الفقير البسيط المتمرد من مجرد إنسان متململ وحالم كبير بالثورة إلى زعيم منتصر مفصَّلاً في طبيعة المواجهة مع الواقع ، ونقلة في طبيعة تأمل الأشياء واكتشاف الحقيقة على محور جديد ، أن تحلم أنت الثائر الذي تسير في طريق محدد باختيارك مدفوعاً بحب الجموع وواهباً نفسك لتحطّم قيودها كي توفر لها الحرية وتخلصها من الظلم ومن عبودية تراكمت عبر العصور ، ولكن هذه الجموع في هذه اللحظة التي تربح فيها الخلاص وتفتح لك ذراعيها وتنادي بك زعيماً ومنقذاً تفتح أفواهها وتبدأ في الصراخ : ابن لنا بيتاً ، امدُدْ لنا خطاً ، ارصف لنا طريقاً في البحر ، ازرع لنا حديقة ، اصطدْ لنا حوتاً ، اكتب لنا تعويذة ، اعقد لنا قراناً ، اقتل لنا كلباً ، اشتر لنا هراً ، هذه هي طبيعة الأشياء . فالجموع ليست لها حسابات

. والجموع كتلة هلامية، وهي أحلام أخرى ، ذلك المارد إذا انطلق من قمقمه أصبح له ألف لسان وألف ذراع وألف عين ، فإذا حاصرتك هذه الألسن وهذه الأذرع وهذه العيون فهذا قدرك ، ولايعود أمامك من سبيل إلا الاختيار . والكاتب يدرك هذه الحقيقة ولايتملّص منها ولكنه ينفر من بعض الرغبات المستحيلة التي تريد أن تضعه في مصاف السحرة أو الذين يحملون عصا موسى ، من هنا تمسك بخناقه لحظات الضيق والتبرّم ، هو يختنق بالمحاصرة ويلجأ إلى مثل هذا (المونولوج) الداخلي ويشرع في الشكوى والأنين ، ليس هروباً وإنما تسلية وتخفيف ومحاولة للتحرر من ثقل المعاناة . وتندفع القصة إلى مستوى آخر من التأمل والمكاشفة والبوح وتتوقف عند جبروت هذه الجموع وطغيانها حتى في وجه منقذيها . وكما أحب حرية الجموع وانطلاقها بلا سيد ، وقد كسرت أصفادها وزغردت بعد البؤس والعناء ، لكني أخشاها وأتوجس منها . إني أحب الجموع كما أحب أبي وأخشاها كما أخشاه . من يستطيع في مجتمع بدوي بلا حكومة أن يمنع انتقام أب من أحد أبنائه ؟ وعندما يشبّه الكاتب جبروت الجموع بجبروت الأب ويعترف بحقه كما بحقه في الانتقام من أحد أبنائه في لحظة الغضب ، تصبح شفافيته شفافية الثوار ، ويصعد في لحظة إنسانية إلى مستوى من التجرد من روح الكراهية والقتل والبغض ، ويسمو التعبير عن آثار هذا التأمل المشحون بالمرارة إلى مستوى من المباشرة في التعبير غير مخلّة ولامنفّرة . من يتفاهم مع من أمام هذا اللهيب الاجتماعي الذي يحرق ظهري، أمام مجتمع يحبُّك ولايرحمك ، أمام أناس يعرفون ما يريدون من الفرد ولايأبهون لما يريده الفرد منهم ، يفهمون حقوقهم عليه ولا يفهمون واجبهم نحوه ؟ كل هذه المستويات من الإفصاح والمناجاة الداخلية تفضي إلى الاقتناع بالفرار إلى جهنم ، ولكن هل حقاً تكون جهنم أرحم من هذه المعاناة الشاقة ؟ من هذه المكابدة اليومية ؟ إن هذا الموقف مجرد إمعان في تصعيد التعبير عن الروح ، ومجرد مخاتلة في حالة الإحساس بالوجع حتى تذوب وتتلاشى . فالهموم تظل باقية لا محالة ، وكل هذا الواقع بما فيه من تناقضات وسلبيات جارحة هو قدر بطل القصة ولا مناص له من المواجهة

والاعتراف بأمر واقع مهما كانت قسوته ومهما كان ظلم هذا الواقع ، وفي النهاية لابد أن تأتي لحظة الفرح ..

هذه هي – في نظري – بعض الخطوط العريضة لقصة الفرار إلى جهنم للقائد معمر القذافي ، لكن العمل في حد ذاته يترك دلالة لاتقل أهمية عما حاولت القصة أن تعبّر عنه . في الواقع أن الزعيم ، أي زعيم عندما يلجأ إلى القلم ليبدع عملاً أدبياً وفنياً ويضع هذا العمل بين أيدي الناس ، فإنه يفصح في هذه اللحظة عن جانب إنساني مهم في تأثير شخصيته . وعندما يعبّر العمل الأدبي عن كل هذه الهموم التي وردت في قصة الفرار إلى جهنم فستكون هذه اللحظة الإنسانية أكبر عمقاً وأصالة لأنها أفضت بوجع وحلم كان من الممكن أن يكون التعبير عنهما بوسائل أخرى . فالضيق من أنماط السلوك المعوجّ ومن سلبيات قاتلة ومن سخط أحياناً ومن جحود أحياناً أخرى ، يفقد الزعيم وهو في موقف القوة توازنه فيؤجج صدره . وعبر مراحل التاريخ كلها ما أكثر الزعماء الذين كانوا يلجؤون كلما انتابتهم نوبة يأس أو غضب أو تبرُّم إلى ممارسة الجور أو التسلط أو الاضطهاد . فالكتابة إذ تجئ على هذا النحو تخلّص النفس من الأثقال التي تكبلها وتشدُّها إلى جحيم الضجر والألم والقيود ، وهي معالجة حضارية لجروح الواقع ومساوئه ، وهي كذلك – الكتابة – مشاكلة وجدانية تتخطى الحواجز كافة التي تحول دون الوصول إلى ثقافة الناس ، فتصل إلى أيديهم بمثل هذا الصدق والبساطة ودون تزييف أو نفخة كاذبة ، كما يحاول البعض أن يفعل ..

((حين يضيق البطل بتلك
الرقـابة الاجـتـمـاعـيـة التي
تفـرض عليـه من هنا وهـناك
.. فـي حـين يـتـطـلـع هـو إلـى
لحظة إنسـانيـة واحـدة يـعيش
فيها حراً طليقاً ..))

الأستاذ / أمين مازن

الأستاذ / أمين مازن

الفن وسيلة لتوصيل الخطاب

تشكل هذه المجموعة رافداً جديداً لفن القصة القصيرة التي ازدهرت في ليبيا وبلادنا العربية كفن متميز منذ خمسينيات القرن الماضي ، فن يحمل هموم الناس وطموحاتهم وآمالهم لأنفسهم وللأمة بمستوى فني رائع ، وليس بالأمر الهين أن يجد رجل له من المسؤوليات والقضايا الكبيرة مثل الأخ القائد معمر القذافي الوقت لكتابة القصة ، بمعنى أنه قد وجد في هذا الفن ما يوفر له القدرة على توصيل خطابه الذي ربما لم يصل بالقدر الكافي في كتابات أخرى ، أو أن تلك الكتابات الأخرى قد عمقت لديه الإحساس بضرورة الالتفات إلى القصة واستعمالها كخطاب للتواصل مع الناس ، وكفن يعبر به عن مكنون النفس وما يجيش فيها وما يعتمل داخلها من مواجع وتطلعات ومن أشياء تخص النفس قبل أي شئ آخر ..

إذن مثل هذا التوجه يشكل انتصاراً لفن القصة . ومن جهة أخرى إذا تعاملنا مع الكتابة في حد ذاتها ، واحتكمنا إلى مجموعة من النصوص التي حوتها المجموعة ، نجد أيضاً مجموعة من الأسئلة ومجموعة من الإجابات التي لم تأت عرضاً، وإنما جاءت في سياق فني وعبر معاناة واضحة في التعبير . وحين يحمل العمل الفني أو الأدبى أسئلته ويقدم إجاباته ، أو حين يشير إلى هذه الإجابات ، فإن هذا يعني الكثير بالنسبة لمن يعرف أسرار النص الإبداعي ويتعامل معه بما يجب أن يتعامل من حيث القراءة الواعية التي تتوقف أمام الجملة وأمام السرد وأمام الحوار وأمام استعمال الضمائر ، سواء ضمير المتكلم أو ضمير الغائب ، ففي المجموعة تتعدد الأصوات ، نجد فيها أحياناً حديثاً ينطلق من النفس ، كما هو في قصة الفرار إلى جهنم ، حين يضيق البطل بتلك الرقابة الاجتماعية التي تفرض عليه من هنا وهناك ، في حين يتطلع هو إلى لحظة إنسانية واحدة يعيش فيها حراً طليقاً ، وهذه إشكالية مهمة للغاية ، ويعانيها كل من نذر نفسه للهم

العام وللعمل العام . فالنفس البشرية في أعماقها تتطلع إلى تلك اللحظة التي تتمرد فيها على القيود وتتخلص فيها من الرقابة وتعيش لكل الناس في حرية كاملة . وأعتقد أن مثل هذا النص حين يجد من يقرؤه بعمق ويحلله بوعي ، فإنه أهل لحديث لاتكفي فيه هذه المداخلة ، بقدر ما يتطلب ساعات وساعات من البحث . ففيه معاناة حقيقية ، وفيه تعبير واعٍ ، وبدون مجاملة ، فإن أسلوب القصص متميز للغاية .

((الإشكاليـــة أن حـــاســـة المسـؤول الثـوري وحـامل الأمـانة تظل معه وترافقه وتلح عليه حتى داخل مـثل هذه الفسـحـات من البوح النفسي ..)) .

بشير الهاشمي

الأستاذ / بشير الهاشمي

الإبداع لحظة الهروب إلى الذات

يقول معمر القذافي : أحس أحياناً أنني مصادر ومقموع ، حتى عندما أكتب أحس أنني لست حراً ، لأن الحرية هي التي تجعل كل شئ حقيقياً وصريحاً . أحس أن لدي أفكاراً خطيرة يصادرها اسمي وشروط اللياقة السياسية ..

ويعتبر معمر القذافي أن حالة الكتابة الإبداعية هي اللحظة التي تحدث فيها المعانقة الأصلية للحرية وتحدث فيها المصالحة الحقيقية مع الذات ، وهذا معيار لايصدر إلا عن كاتب حقيقي . فالقذافي ليس بكاتب محترف بالمقياس الظاهري، ومع ذلك فإن من أخطر وأصعب أنواع الكتابة وألصقها بالنفس وأكثرها قرباً من خوالجها ومدارات عوالمها الداخلية والبعيدة الغور هي تلك الكتابات التي تأتي من كاتب غير محترف ولايمتهن صفة الكتابة .. لماذا ؟

لأن هذا النوع من الكتاب ينجرف متدفقاً ومدفوعاً إلى الكتابة بجملة من العوامل والتراكمات المختزنة والتي تتجمع بكاملها وتصب عند محصلة حالة نادرة ، هي حالة البوح النفسي ، يلجأ إلى الكلمة المكتوبة ويلوذ بها قلب كبير ينوء بالمتاعب والأعباء والأثقال ولا يجد من عزاء وتعويض غير تفحص هذه الحالة من البوح والدخول في أتونها ، في لحظات من الهروب الواعي والمدرك والمستنير ، مثلما عند معمر القذافي وخصوصية حالته مع الكتابة الإبداعية ، فهو يشير إلى ذلك بقوله : نعم ، بالنسبة لي الكتابة

شكل من أشكال الهروب إلى المواجهة وليس للهروب من المعركة ، والفارق كبير وواضح بين الهروب إلى الكتابة والانغماس في العملية الإبداعية بخصوصية عوالمها ، وبين العمل والإنجاز السياسي . وهنا يجب أن نتفهم بعمق هذا المدلول عند معمر القذافي ، وشفافية معانقته لهذا النوع من الهروب الإبداعي في كتاباته القصصية . الهروب بهذا الشكل الذي في القصة ليس عملاً سياسياً . فالسياسة لا تنسجم مع شئ من هذا القبيل . ومن ناحية أخرى هو محكوم عليه بالاستمرار في الإبداع كي يستمر هو نفسه ، كأي مبدع ، هو يخلق مسارب ودروباً للهروب ، وهو حين يلتقي الأدباء والكُتاب ويتحدث معهم ويفتح المجال والباب للنقاش والحوار حول الأدب والشعر والإبداع ، فإن في هذا أيضاً هروباً من واقع آخر فيه الكفاح السياسي ، تحاول أن تخلق عالماً خاصاً بك ، حتى الحياة العائلية أحياناً تكون نوعاً من الهروب ، تمارس دورك كزوج وكأب لأطفال تهتم بدراسة هذا ومذاكرة ذاك وتحس أنها ليست مهمتك لكنها في النهاية نوع من الهروب لبعض الوقت ، هروب من الجحيم الآخر . المقهى نفسه هروب . ويصل القذافي إلى ذروة رصده النفسي والوجداني لتلك الحالة التي وصفتها أنا بحالة البوح القوي الصفاء والنقاء ، البوح المتصل بجذور أصيلة وثابتة من المعاناة ، يصل إلى تلك الذروة حين يقول : لكن عندما يتعذر عليه الاختلاء ، عندما لايجد الكتابة دائماً، عندما لايجد الآخر الذي هو كنفسه ، عندما لايجد المقهى ، هذا كله يؤدي إلى أن يطفح الكيل عنده ، وهو يجد أن قدره ومسؤوليته أن يظل واعياً يقظاً حاضراً حتى وهو يصطنع مثل هذا الهروب المقصود كبديل مؤقت ..

الإشكالية أن حاسة المسؤول الثوري وحامل الأمانة تظل معه

وترافقه وتلح عليه حتى داخل مثل هذه الفسحات الصغيرة من البوح النفسي . ومن موقع مسؤوليته التاريخية يقول إن أنواع الهروب هذه يستطيع الثوري أن يوظفها لخدمة دوره التاريخي للوصول إلى الهدف ، لكن يجب أن تجمع طاقة لتتقدم إلى الأمام ، كأنك تقف خطوة لتتقدم بعد ذلك خطوتين . والكتابة إذا كانت قسرية ، أو هروباً ، من الممكن أن تتحول إلى وقود للمعركة . أنت تختلي مع نفسك ، ولكن الثوري هو الشخص الإيجابي ، هو الذي يحيل هذه الخلوة إلى طاقة يستمد منها القوة للانطلاق إلى الأمام فياله من قدر ذاك الذي يفرض على الكاتب أن يقتحم عليه دوره التاريخي حتى اللحظات الحميمة الخاطفة التي ينشدها في زمان ما . إنه القدر الذي حمله هموم العالم ، ووضع على كتفيه مسؤولية التبشير بتغييره ، وأيقظ في قلبه شعلة متقدة ومتوهجة بنور اليقين والفهم في الوصول به إلى طريق الانعتاق والخلاص وإزالة قيود العلاقات الظالمة التي يطفح بها كيل المجتمعات البشرية . إن مشكلة معمر القذافي ليست في كونه قائداً ثورياً فحسب ، ولكنه بالمعنى المكثف للمدلول ومعياره ، هو رسول الحرية ونبيها ، وقد نذر نفسه لأداء هذه الرسالة والقيام بأعباء أمانتها وتحمل تبعاتها ، وكيف يمكن إذن لهدوء البال أن يأخذ طريقه إلى عقل وقلب إنسان وهب نفسه وعمره لأداء هذه الرسالة والتصدي لأعباء مسؤولياتها؟ كيف يمكن أن يختلس من الزمان لحظات ذات نكهة خصوصية ، وبحنانية إنسانية ذاتية ، بمعزل، وبعيداً عن التزامات الرسالة والمسؤولية ، ومثل أي إنسان على الأرض لابد له أن يعطي نفسه فسحة صغيرة يتخفف فيها من هموم وتبعات المشاغل . إن ذلك بالنسبة لمعمر القذافي هو ضرب من المستحيل ، حتى وهو يصف مثل هذه اللحظات العابرة بالهروب . فالهروب عنده حالة أخرى من

حالات الوعي والمسؤولية والالتزام . إنه قدره الذي يحمله . وللقدر رجال هم هكذا ، من المستحيل عليهم أن يمنحوا أنفسهم حتى هذه الفسحة الصغيرة البالغة الخصوصية ليستطعم مذاق حالة رائعة ونقية من حالات البوح النفسي .

((.. ولا شك عندي أن كثيراً من السيرة الذاتية موجودة في المجموعة القصصية . ونحن بحكم قراءتنا عن شخصية الأخ القائد نعرف أنه لم يزل يحتفظ بنقائه البدوي ، لايزال يحب الخيمة ويسكنها ، ويحب أن يكون في فضاءات أوسع ..)) .

الأستاذ / عبد الرحمن مجيد الربيعي

الأستاذ / عبد الرحمن مجيد الربيعي

المكان هو البطل

نجد في القصة الأولى في المجموعة ، قصة المدينة ، أن هناك هجاءً ورفضاً للمدينة ، والبديل لها دائماً هو الريف . في هذه القصة لا أبطال من البشر ، وإنما المدينة نفسها هي البطلة، والكاتب يصفها بما هي : تقليعة ، صيحة انبهار ، تقليد غبي ، استهلاك لعين .. الخ ، وهي ليست مجرد أوصاف وإنما هي هجاء ، المدينة عنده ضد الزراعة وتبنى على الأرض الزراعية فتقتلع الأشجار المثمرة ، وتجتذب الفلاحين إلى أرصفتها فيتركون الزراعة ليصيروا تنابلة كسالى عاطلين ومتسولين ، وهذا الإغراء المديني هو حالة عربية ، ونجد عند الكثير من الروائيين والقصاصين العرب أن المدينة متهمة ، وأن النقاء والبراءة هما في القرية ، نجده يشخص المدينة في عجلة السيارة حين دهست الطفل الذي يعبر الشارع فمزقت جسده الغض ، ثم إنه يسخر من انبهار سكان المدينة بكرة القدم ويقدم عنهم صورة كاريكاتيرية إذ يتابعون اثنين وعشرين فرداً في حركات لا معنى لها وراء كيس صغير في حجم البطيخة كما ورد في القصة بالنص . في القصة التالية ((القرية القرية)) نلحظ تكرار لفظ القرية مرتين فيما ورد اسم المدينة في القصة السابقة مرة واحدة فقط ، وجدت ذلك وكأنه أراد أن يقول إن القرية هي الحل . في هذا نوع من الحسم في الانحياز إلى القرية . وعندما يصف الكاتب القرية تنعكس الآية ، يصبح النص أكثر شاعرية وأكثر صفاء ، يتألق الكاتب روحياً عندما يتحدث عن القرية ، فيقول : القرية هادئة ، نظيفة ، مترابطة ، أهلها يعرف بعضهم البعض ومتضامنون في السراء والضراء، ووسط هذا يعود مرة أخرى إلى المدينة ، وكأن ما أورده عنها لم يشف غليله، إنه يقول إن المنحرف واثق من عدم انكشافه في المدينة . فالكذاب يستطيع الكذب دون أن يترتب على كذبه مسألة اجتماعية له أو لعائلته أو لقبيلته . والمؤلف يتوقف في القصة الثالثة عند الأرض ، وهي أكثر شمولية ، كما أنه

يوردها مكررة في العنوان شأن القرية ، وفي هذا كما قلت تأكيد وحسم ، رغم أن هذه القصة قصيرة جداً فهي صفحتان ونصف فقط ، والمؤلف لايقصد هنا الأرض التي تزرع فقط ، وإنما كذلك التي نقيم عليها والتي حولناها إلى طرق مثلاً . والفارق بين هذه القصة وسابقتها أن هناك شيئاً من المباشرة الأقرب إلى الوعظ إن جاز لي قول ذلك ، كقوله : يمكنكم أن تتركوا كل شئ إلا الأرض ، الأرض فقط لا يمكنكم الاستغناء عنها ..

يُخيل إلي من قراءتي للقصص الثلاث : المدينة / القرية القرية / الأرض الأرض ، أنها تكمل بعضها ، وأن السارد لم يهتم بشخوص معينة وإنما كانت الأهمية من نصيب المكان . المكان كان قد أربك القارئ وجعله يبحث عن تفسير أو أكثر من دلالة للنص . هنا أود أن أعود إلى القصص الثلاث الأولى معاً فأتساءل عن المدينة ، أهي المدينة العربية التي نعرفها ؟ أهي طرابلس ، بغداد ، الرباط ، الخ وهل هذه مدن أم مجرد قرى كبيرة ؟ هل المقصود المدن الأوروبية ؟ فالمدينة العربية لازالت بشكل أو بآخر محافظة على كثير من تقاليد القرية ، بل ثمة قرى بأكملها قد انتقلت إلى المدينة وشكلت فيها محلات كبيرة داخلها.. سكانها من أبناء قرية واحدة وذوي أصول قبلية واحدة . في العراق مثلاً هناك مناطق يكون معظم سكانها من جهة واحدة ، قدم أحدهم فلحق به قريبه أو جاره فنشأ بالتدريج تجمع سكاني ..

إن المؤلف يبقى محكوماً بتحدره من أسرة صحراوية حتى وهو يتحدث عن الموت في قصة أخرى . الموت كما قال ليس بطلاً أسطورياً ذا مثل عليا أو أخلاق اجتماعية قبلية وتربية بيتية . هذه القصة تروى بضمير المتكلم عندما يتحدث عن مفارقات أبيه مع الموت الذي كاد ينهيه وهو في الثلاثين من عمره ومع ذلك انتصر عليه حتى بلغ المائة .

مسألة أخرى نتوقف عندها ونراها أساسية فيما يسرده المؤلف من قصص هي اعتماده على الآية القرآنية والعودة إليها دائماً ، هو يستعمل الجملة القرآنية والمفردة القرآنية دائماً وهي غير غائبة عن النص وحاضرة في كل القصص ، بل إن هناك إفاضة في إيراد هذه الآيات ، ربما يريد

الكاتب من ذلك استخدامها في إبداء رأيه هو في الموضوع الذي يكتب عنه أو الفكرة التي يريد توصيلها .

ولاشك عندي أن كثيراً من السيرة الذاتية موجودة في المجموعة القصصية ، ونحن بحكم قراءتنا عن شخصية الأخ القائد نعرف أنه لم يزل يحتفظ بنقائه البدوي ، لايزال يحب الخيمة ويسكنها ، ويحب أن يكون في فضاءات أوسع ، يكره الزحمة ، هذا موجود في القصص وقد دفعتني كقارئ ومتلقٍ وككاتب روائي وقصصي في الوقت ذاته أن أتعرف على الكيفية التي يمكن أن يكتب بها من كان في موقع القيادة السياسية والمسؤولية ، أية أفكار تنتابه ؟ وماذا يشغله ؟ لنقرأ فقرة وردت في إحدى قصص المجموعة وهي ((الفرار إلى جهنم)) ((هذه الجموع التي لاترحم حتى منقذيها ، أحس أنها تلاحقني / تحرقني / وحتى وهي تصفق أحس أنها تطرق / أنا بدوي أمي لاأعرف حتى صنعة الزوارق ولاأعرف حتى معنى المجاري/ وأشرب ماء المطر وماء البئر بكلتا يدي / وأخفي بركات الضفادع بطرف عباءتي / ولا أتقن السباحة على بطني ولاعلى ظهري / ولاأعرف شكل النقود)) هذا النص يعطيني فكرة عما يشغله . والأسئلة التي تثيرها القصة لها أجوبة فيها هي نفسها ، هي قصة غنية بالأفكار والتداعيات والمفارقات والانحياز للصحراء ، لكن مع كل هذا تظل القيمة الأساسية فيها متمثلة في المدينة وما فيها من توجس وخوف يشكل لبطلها هاجساً ملحاً . وأنا أرى أن قصة الفرار إلى جهنم هي واحدة من أغنى قصص المجموعة ، وقد وجدنا نثاراً من أفكار المؤلف السياسية التي نعرفها في هذه القصة، مثل : كم أحب حرية الجموع وانطلاقها بلا سيد وقد كسرت أصفادها . هنا إذن البطل واضح يروي القصة بضمير المتكلم الذي يواصل فيقول: إني أحب الجموع كما أحب أبي ، ولكنه يقول أيضاً : وأخشاها كما أخشاه ، يعني هناك لدى هذا البطل المتكلم هذه القناعة ، لكننا نتساءل : من هو هذا البطل المتكلم ؟ من أي موقع يتحدث ؟ هل هو واحد من هذه الجموع أم أنه قائدها ؟

مسألة أخرى ، فهذه القصص تتمتع بقدر عالٍ من السخرية، يعني نبرة السخرية واضحة ، ولكنها السخرية المريرة . وكما أن النصوص غنية

بالفولكلور والعادات الشعبية والتقاليد إضافة إلى ما تتضمنه من أحداث ، فإن المؤلف يرجعك إلى الواقع الذي تعيشه ، أي واقع العرب اليوم ، في هذه اللحظة، وماذا يجري فيها ، ويعطي تفاصيل تذكرك أين أنت وفي أي زمن أنت، إنك لاتحلّق في الهواء وإنما أنت مغروس فوق أرض عربية ، وهذه الأرض العربية فيها هذه المشاكل . في قصة عشبة الخلعة والشجرة الملعونة مثلاً ، هذه العشبة الوهمية عشبة الخلعة ، أنا ضحكت جداً عندما قال : إن الشاعر الجاهلي ، إنه يصف أحد الشعراء العرب وهو نزار قباني بالشاعر الجاهلي الحديث . جميلة هذه القصة ونبرة السخرية فيها جميلة جداً . في ((أفطروا لرؤيته)) نبرة السخرية واضحة كذلك ، وهذا هو الجنرال شوارسكوف يطل علينا وهو قائد قوات التحالف في حرب الخليج الأولى وبين مزدوجين " جزاه الله خيراً " ، والدعاء من الكاتب وليس مني ، فقد حدّد الجنرال لنا اليوم الذي يبدأ فيه عيد الفطر وبالتالي حدد لنا عدد أيام الصوم بصورة قاطعة لا لبس فيها ووفقاً للتاريخ الإفرنجي ، حسب رؤية الجنرال ، وبغض النظر عن رؤية الهلال من عدمها . لقد أعادنا إلى زماننا الذي نحن فيه بهذه السخرية من الواقع الذي نعيشه ، وهو بهذه السخرية التي استخدمها لتكون مفتاحاً لدخول عالم الناس اليومي ، قد وجد الوسيلة التي يرد بها . فعندما تتفاقم المحن وتكثر خيبات الأمة وانكساراتها لم يبق غير السخرية وسيلة وأداة على طريقة : شر البلية ما يضحك . انظروا تلك العشبة الناضجة بالدجل التي تباع في دكان الحاج حسن والتي أطلق عليها عشبة الخلعة ثم نودي بالبشرى للمخلوعين والمخلوعات حيث هي متوفرة في دكانه ، حيث كان قد عثر عليها في سهل بنغازي ، وكأن عشبة الخلعة هي كل ما تبقى لهذه الأمة العربية لمواجهة داء ابتلينا به ، وبدلاً من أن تشفيها عشبة الوهم هذه أضافت لدائها داءات أخرى . وجازى الله الجنرال شوار سكوف خيراً .. ياله من دعاء .. ويالها من مأساة ..

((.. مشكلة أخرى عالجها القذافي هي مشكلة الموت ، علاقة الإنسان بالموت ، هذا سؤال محيّر وعميق ومذهل أيضاً . إن مشكلة الموت هي مشكلة يعاني منها على وجه الخصوص ذوو الحساسيات المفرطة ..))

الأستاذ / الصافي سعيد

الأستاذ / الصافي سعيد

بروز مسألة الجموع

في قصة انتحار رائد الفضاء يبدو أن الإنسان الذي اخترق الغلاف الجوي للأرض كان - في إحساس معمر القذافي - قد انتحر فعلاً ، هو لم يجد أي شئ، ونحن نعلم أن الذهاب إلى القمر لم يأت بنتيجة ، وهناك حتى من يشكك فيما إذا كان رائد الفضاء قد وصل فعلاً إلى القمر ويشكك أيضاً في النتائج وفيما إذا كانت تلك المهمة ذات جدوى للإنسان ، وماذا وجد هناك ؟ ولماذا لم يعد مرة أخرى ؟ وانتحار رائد الفضاء أعتقد أنه رمز . إن علينا الاعتناء بهذه الأرض التي يمكن أن تساوي في اللغة العربية الكلمة الرديفة لها وهي العرض .

في قصة الفرار إلى جهنم تبرز مسألة الجماهير أو الجموع ، وهي مسألة محيّرة لأي كاتب ولأي فيلسوف ، هؤلاء يسميهم البعض بالغوغاء ويسميهم آخرون الجموع ويسميهم البعض بالعامة وتسميات كثيرة بحيث توجد رهبة في مواجهة هذه الجموع . هي كمٌّ . صحيح أنها كمٌّ ولكنه كمٌّ غير متناهٍ من الأمزجة ومن العواطف ومن العلاقات ومن النظرات ومن الأفكار ومن كل شئ، بحيث إن أي مفكر أو زعيم يقف وقفة متأنية يملؤها الخوف والرهبة ، ولا أعتقد أن معظم الزعماء ، أتكلم هنا عن الزعماء المبدعين مثل ترو تسكي ومثل لينين ومثل ديجول وحتى ميتران وتشرشل ، هؤلاء كتبوا كثيراً في الأدب ، وكتب بعضهم أدباً جميلاً ، وكتبوا أيضاً عن الشعب وعن علاقتهم بالجماهير . كان ديجول مثلاً يقول أنا فرنسا ، لم يكن يقول أنا الشعب الفرنسي ، وأظن أن السبب في ذلك هو كما قال أندريه مالرو إن ديجول لم يكن يثق في الشعب الفرنسي ، ما معنى ذلك ؟ إنه لايثق كثيراً في ذلك الشعب الذي ناداه للمقاومة ضد النازي فلبّى النداء ، ما معنى ذلك ؟ إنه لايثق في ما إذا كان ذلك الشعب سيفهمه في كل لحظة وتلك هي المسألة الصعبة عند أي زعيم ، لذلك هو يعيش نوعاً من التناقض أو المفارقة ، مفارقة لابد منها لكي يعيش ويستمر . نحن مثلاً ندرك أن لينين أو تروتسكي

أو عبد الناصر عملوا كثيراً من أجل ما يسمى بالشعب ، وربما طبعوا مصطلحات ومفاهيم وأحزاباً وتنظيمات وعلاقات من أجل الشعب، ابتدعوا فلسفات من أجل الشعب ، ولكن دائماً كانوا يتخوفون ويتشكّكون ويشكون أيضاً من هذا الشعب . وقد سمعنا عبد الناصر أيضاً يشتكي من الشعب ، وقال في أحد خطاباته على ما أعتقد : كفى تصفيقاً .. أو ما شابه ذلك ، رأينا أيضاً معمر القذافي كيف يشكو بين الحين والآخر من الشعب ..

مشكلة أخرى عالجها القذافي هي مشكلة الموت . علاقة الإنسان بالموت . هذا سؤال فعلاً عميق ومحيّر ومذهل أيضاً . إن مشكلة الموت هي مشكلة يعاني منها على وجه الخصوص ذوو الحساسيات المفرطة ، مثل الزعماء الكبار والكُتاب والفنانين . وأذكر أنني قد قرأت منذ حين أن الرئيس ميتران قبل رحيله ذهب إلى أحد المثقفين الكبار واسمه كيتو ، ويحكي الأخير أن ميتران جلس أمامه وهو البالغ من العمر 94 عاماً ليقول له : احك لي عن الموت ، حكى له السيد كيتو عن الموت باعتباره رجل دين أيضاً متخصصاً في اللاهوت . وعندما استكمل حديثه سأله ميتران عما بعد الموت فأجابه كيتو : أننا نعرف بالتساوي ماذا يوجد في الما بعد ..

الصراع ضد الموت هو أننا كلنا نصارع ضد الموت أي ضد الزمن ، ليس هناك موت في الحقيقة ، هناك زمن لانستطيع أن نقبض عليه . وقد حاول الإنسان منذ البداية التغلب على الزمن سواء بتفتيته أو بتجميده أو بتكثيف سرعته ، لكننا لم نقبض عليه أبداً هذا الزمن الشئ الوحيد الذي قهره حتى الآن هو الحجارة ، كل الناس حاولوا أن يغلبوا الزمن . هناك حضارات قامت على مصارعة الزمن مثل الحضارة الفرعونية التي ابتدعت أسلوب الحجارة المتمثل في الأهرامات واتَّبعت أسلوب التحنيط أيضاً ، ودائماً الصراع ضد الموت هو صراع من أجل الحياة . وعندما نكون نحن على درجة من اليقظة ومن الافتتان بالحياة نكون مصارعين جيدين أيضاً للموت . وكما قال الأخ معمر في قصته - على ما أذكر - إن هذا الموت لانعرف إن كان ذكراً أو أنثى ، إن كان جباناً أو شجاعاً ، ولكن ما هو أكيد أيضاً أن الموت جبان ، إذ عندما تقترب منه فهو يهرب ، يعني أحياناً نموت قبل أن نموت ، نموت وقد قررنا بأنفسنا موتنا .

((.. لكن الاختلاف هنا أن
الراوي يقود القارئ عبر دروب
عالمه العجيب كي يجعله أكثر
إيجابية ، بحيث يشاركه
التجربة النفسية والروحية
والفكرية والفنية ، ولا يقنع
بدور المتفرج السلبي ..)) .

الدكتور / نبيل راغب

الدكتور / نبيل راغب

أصالة تقودنا إلى بادية سرت

لفتت نظري بشدة قصة انتحار رائد الفضاء . فهذا الإنسان الذي عاش عمره كله على الأرض بصفتها المصدر الوحيد لحياته ، لم يستطع حتى الآن إدراك قيمتها الحقيقية ومعناها العميق ، ولذلك هو يواصل العبث بها نتيجة جهله بها ، في حين أنه يدعي شمولية المعرفة بالكواكب الأخرى ، مدللاً على ذلك بدورانه حولها وهبوطه على سطح القمر . وبذلك نجد بطل هذه القصة بعد أن اعتزل حياة الفضاء ليعود إلى ممارسته لحياته على الأرض ، نجده عاجزاً تماماً عن فهم معنى الأرض واستيعاب دلالاتها ، رغم معلوماته الشاملة ومعرفته الموسوعية عن أحجام الكواكب والمسافات بينها وحركة الأفلاك والمجرات ، وكأنه قد تخلى منذ زمن عن كون الأرض محور حياته وجوهرها إلى أشياء جانبية يمكن له الاستغناء عنها مهما كان الإبهار يحيط بها . وعندما يجد الرائد العائد من الفضاء نفسه عاجزاً عن التواصل مع الفلاح البسيط الثري يعرف كل شئ عن الأرض ، والمهتم بالمسافة بين الشجرة والأخرى وليس بين الأرض والمشترى ، ويهمه حجم إنتاج وليس حجم كوكب عطارد ، يدرك حينذاك الرائد فشله في استعادة قدرته على ممارسة حياته مرة أخرى على الأرض ، إذ تقطعت وشائجه مع أهلها . ونظراً لاستحالة عودته إلى الفضاء فإنه في النهاية ينتحر بعد أن انقطع حبل الوريد الذي يربطه بالأرض . ولاشك أن الدلالات الرمزية لكل من شخصيتي رائد الفضاء والفلاح تمتد لتشمل مساحة فكرية ودرامية أوسع بكثير من الحيز الفردي الضيق للقصة ، لدرجة أنها يمكن أن تشكل جنيناً لرواية طويلة تجمع بين الخيال العلمي والمعالجة الدرامية للواقع ، وتجسد المفارقة الغريبة العجيبة التي وقع فيها الإنسان نتيجة هروبه من ذاته وأمه التي حملته منذ مولده إلى هذه الدنيا إلى الفضاء الخارجي ، ظناً منه أنه قد أصبح سيداً لهذا الفضاء . فكانت النتيجة ضياع الإنسان ونهايته لعجزه

عن الجمع بين الحياة في الفضاء والحياة فوق الأرض . لقد أضاع الإنسان الواقع مقابل الوهم ، فكان من الطبيعي أن يلفظ الواقع ابنه العاق الذي قطع علاقته الحميمة به ، وهذا الواقع له وجود حقيقي ملموس خلف هذه الدلالات الرمزية من خلال ما وقع بالفعل لبعض رواد الفضاء الخارجي الذين أصابهم الاكتئاب والانعزال والهلوسة إلى غير ذلك من صور العجز النفسي عن التواصل مع المجتمع بصفة عامة أو بالأسرة الصغيرة بصفة خاصة ، ولاشك أن تلك الأمراض النفسية هي أنواع متعددة من الانتحار الذي لايعني بالضرورة قتل الذات ..

وتتوالى التنويعات في هذه المجموعة القصصية المثيرة للفكر والوجدان ، والتي يخاطب فيها الأخ العقيد معمر القذافي الإنسان حيثما كان وفي كل عصر وأوان من خلال الكشف عن الجوانب المعتمة في الحياة ، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في قصة الفرار إلى جهنم ، وجهنم هذه تختلف عن جهنم التي وصفها أبو العلاء المعري في رسالة الغفران ، أو الجحيم الذي مرّ به دانتي في الجزء الأول من ملحمته الشهيرة ((الكوميديا الإلهية)) ، على النقيض مما نتوقع فقد فرَّ الراوي إلى جهنم كي ينجو بذاته التي توشك أن تهدر تحت وطأة الجموع التي كانت تقتحم عليه خلوته وتغتصب ذاته بأنفاس تلاحقه كالكلاب المسعورة ، ولذلك فجهنم الفعلية هم الآخرون . أما جهنم التي يقصدها الكاتب فهي ليست جهنم العقاب في الآخرة ، وكما يقول الدكتور الفقية إنها جهنم أخرى أكثر إنسانية وألفة ، وإلا كيف تأوي إليها الطيور والحيوانات المستأنسة فتألفها إن لم تكن كذلك ؟ لقد بدأ الراوي بالكشف عن هيئته البدوية ولابد أن نذهب للبحث عن مرجعية النص في تلك البوادي . فهذه الأصالة هي جزء من تكوين القصة . فالإشارات التي أطلقها الكاتب عن طبيعة المكان الذي أسماه جهنم ستقودنا بيسر وسهولة إلى البادية ، وإلى بادية سرت بالذات ، فالذين يعرفونها يعرفون أن هناك منطقة بين شعابها أطلقت عليها الذاكرة الشعبية اسم جهنم ، ربما بسبب القيظ الشديد وعدائية أرضها القاحلة ، ولكن يد الثورة التي قادها معمر القذافي والتي مسحت بأصابع الحنان على المناطق الصحراوية المجدبة وأحالتها إلى أراض خضراء قد وصلت أيضاً إلى شعاب جهنم في بادية سرت وغرست

فيها الأشجار وزرعت فيها النباتات وأحالتها إلى واحة عامرة بالخضرة والفيء والظلال . هذه هي جهنم التي يريد راوي القصة الفرار إليها ، ولذلك يؤكد الدكتور الفقيه في تحليله النقدي القيمٌ للمجموعة أنها ليست قصة سوداوية أو عدمية بل هي تبلور إرادة الإنسان عندما يعقد العزم على إثبات قدرته على صنع الخير والتقدم والازدهار والحضارة فيحول جهنم إلى جنة وارفة الظلال وإن ظلّت تحمل اسم جهنم على سبيل المفارقة المثيرة للتساؤل والتفكير . وهذه الإرادة الإنسانية لا يمكن أن تثبت وجودها الفعلي والحقيقي إلا إذا تعرّف الإنسان على ذاته ومضى معها متأملاً كي يدرك مراميها ويسبر أغوارها الخصبة البعيدة ثم

يستخرج بعد ذلك كل اللآلئ والجواهر التي لا تخطر على بال بشر ، فهذا هو الاكتشاف الإنساني الحقيقي الذي لايقدر على إتيانه إلا رواد الفضاء أنفسهم . على جانب آخر ، واضح من قصص المجموعة أن للمؤلف ثقافة عميقة واسعة للغاية ، سواء في مجال التراث الشعبي الليبي ، أو في مجال التراث العربي بشكل عام . وواضح من الاستشهادات مدى التشبع بروح الآيات القرآنية وبأسلوب القرآن الكريم أيضاً ، وهذا يدل على التشبّع بالتراث وهو نبع أساسي ومصدر رئيس لإبداع الكاتب . وكلما كان الكاتب متشبعاً بتراثه العميق وتاريخ أمته كلما كان قادراً من خلال قصصه على أن يلمس نبض الجماهير وأن يشكّل وجدانها ويعيد صياغته على مستوى حضاري كبير .. أصل إلى قصة الموت ، فهي تستخدم نفس المنهج بضمير المتكلم ، حيث نرى كل المنبوذات من خلال عيني الراوي الذي ينقل تأملاته الفكرية لإحداث وجهة نظر جديدة كل الجدة في مفهوم الموت ، جديدة سواء على مستوى المضمون أو على مستوى الشكل . فالقصة تجسّد عدة مستويات لمواجهة الموت ، وتبلور الدور الحقيقي للإرادة الإنسانية في هذه المواجهة التي تؤكد أن الانتصار ليس دائماً بيد الموت الذي تختلف مظاهره ومواقعه طبقاً لمراحل تحديه للإنسان الذي يسعى للإمساك بقدره بيده ماستطاع إلى ذلك سبيلاً ، لذلك فالنزال الذي دارت رحاه بين الموت والبطل هو نزال ملحمي وليس " تراجيدياً " ينهار فيه البطل في النهاية نتيجة ضعف كامن في شخصيته ، وهو عندما يتقبّل الموت في نهاية القصة فهو يتقبله

بإرادته بعد أن تمكن من تحديه من قبل في أكثر من نزال ، وهذا يعني أن هذه القصة كما سواها من قصص المجموعة يمكن قراءتها على أكثر من مستوى ، وأن المستوى الظاهري قد يوحي من القراءة الأولى بالنقيض تماماً أي المستوى الباطني ، فقد توحي القصة بالعبثية والعدمية والسوداوية من أول وهلة ، لكن القراءة المتأنية المتأملة يكتشف معها القارئ ذخراً بالتفاؤل وبالإيمان بإرادة الإنسان في وجه التحديات كافة مهما كانت مصيرية وحتمية ، بل إن الموت نفسه درس للإنسان في استقلال للإرادة ولو امتلك الإنسان قدرة الموت على المقاومة المستميتة ، والنفس الطويل ، والصبر غير المحدود ، والثقة اليقينية في النصر على الخصم مهما بدا خصمه منتصراً ، ومهما خسر من معارك ، ومهما سمع من أصداء مهرجانات فرح الانتصار عليه ، لو امتلك الإنسان هذه القدرة الفردية والفذة لاستطاع قهر المستحيلات التي يمكن أن تعوق مسيرته وزحفه نحو تحقيق أهدافه ، ذلك أن الجُبن في مواجهة الموت عبث لا طائل من ورائه ، والصلح معه أو الأمل فيه أمران لاجدوى منهما ، فهو يرفض المصالحة أصلاً ، وليس من طبعه التعايش السلمي . فشخصية الأب الملحمية في هذه القصة أكبر دليل مادي ملموس على قدرة الإنسان على تقمص خصائص الموت لدرجة أنه يستفزه كي يخرج إليه وينازله في حومة الوغى ، لكن الموت لايستجيب للاستفزاز ، مما يشعرنا نحن القّراء بنوع من النسبية بين الموت والإنسان . فهذا المنهج ليس قاصراً على هذه القصة ، بل يمتد ليشمل كل قصص المجموعة ولقطاتها ولمحاتها وزواياها وصورها ومشاهدها . فنحن أمام عالم عجيب جديد مبدع لانعرف مسالكه أو دروبه ، ولكننا نستسلم تماماً للراوي أو المرشد الذي يقودنا لنتعرف عليه ، تماماً مثلما قاد الشاعر اللاتيني الشاعر الإيطالي دانتي في رحلته عبر الجحيم ، ثم بياتريس عبر الجنة ، لكن الاختلاف هنا أن الراوي يقود القارئ عبر دروب عالمه العجيب كي يجعله أكثر إيجابية ، بحيث يشاركه التجربة النفسية والروحية والفكرية والفنية ، ولا يقنع بدور المتفرج السلبي .

((إنه يتميز بأسلوب
متمكن قصير الجمل ذات
المعنى الواضح والذي يصل
إلى قلب القارئ وذهنه
مباشرة ..))

الأستاذ / فتحي الإبياري

الأستاذ / فتحي الأبياري

قصصه حركت بحيرتنا الأدبية الراكدة

تثير هذه المجموعة القصصية الكثير من الجدل والمناقشات والرؤى من حيث الشكل الفني والمضامين ، أقول إن هذه المجموعة للأخ القائد معمر القذافي صاحب التجربة الطويلة في عالم السياسة والتجارب الإنسانية الغنية التي توفرت له ، وأيضاً هو صاحب هذه التجربة الإبداعية القصصية ، المجموعة تضم : المدينة / القرية القرية/ الأرض الأرض / انتحار رائد الفضاء / الفرار إلى جهنم / الشجرة الملعونة / الموت / ملعونة عائلة يعقوب ومباركة أيتها القافلة/ أفطروا لرؤيته / دعاء الجمعة الآخرة / وانتهت الجمعة دون دعاء / المسحراتي ظهراً .. والذي يلفت النظر من حيث الشكل عنوان الكتاب المتضمن للمجموعة وعناوين بعض القصص . فعنوان : القرية القرية الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء ، يتضمن تكراراً له مدلولات ، كأنه صرخة تحذير من الكاتب، وكأن معمر القذافي يريد التنبيه أو دق ناقوس الخطر لإنسان هذا العصر التائه في دوامة الحياة المادية العنيفة ، وأن أحلام يقظة إنسان هذا العصر ستؤدي به إلى الجنون أو الانتحار كما حدث تماماً لرائد الفضاء . فقد ضاقت الأرض بالإنسان المادي فحاول الانطلاق إلى عالم الفضاء يبحث عن مكان بين الكواكب الأخرى التي خلقها المولى سبحانه وتعالى فلم يجد إلا السراب ، وأن الأرض التي خلقها الله للإنسان هي قدره وهي حياته فلم التمرد على ما قدره الله؟ وبدلاً من الانطلاق إلى عوالم أخرى لها كينونتها وأسرارها، لماذا لا يجعل الإنسان الأرض جنته ويحيا فيها بالحب والاحترام اللائقين ، تماماً كما

رسمت الأديان وكما أشار خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، غير أن الإنسان كان ظلوماً جهولاً ، وهناك بعض عناوين القصص التي تثير الانتباه والجدل : (الفرار إلى جهنم) (الشجرة الملعونة) (ملعونة عائلة يعقوب ومباركة أيتها القافلة) (وانتهت الجمعة دون دعاء) (المسحراتي ظهراً) ، عناوين غاية في الإثارة . أما من حيث الشكل الفني ، فإن الكاتب لم يستخدم شكلاً تقليدياً تعارف عليه المبدعون من بداية وصلة قصصية وعقدة نهاية ، أو استخدام أسلوب الحكي والحدوتة ، بل اتجه إلى أسلوب الحداثة التي تثير جدلاً بين النقاد والكُتاب منذ ظهور هذا الأسلوب عقب الحرب العالمية الثانية ، حيث اتجهت المدرسة الفرنسية على هذا الشكل ممثلة في (جان بول سارتر) و(ألبير كامي) و (فرانسوا ساغان) .. وغيرهم ، بل لقد اتجه بعض الأدباء والقصاصين العرب إلى استخدام أسلوب الحداثة في إبداعاتهم فواجهتهم حملة نقدية عارمة، ولم تزل المعركة محتدمة حتى الآن ، والحكم في النهاية للزمن، هل سيستمر هذا الأسلوب ويسود القرن الحادي والعشرين؟ المهم أن هذه التجربة الإبداعية للأخ العقيد معمر القذافي تثير كما قلت الجدل والحوار وهي تحرك البحيرة الراكدة في حياتنا الأدبية . ونتناول بعض هذه القصص وما تحمله من رؤى وتجربة إبداعية . ففي قصة المدينة نجد ومضات بل وشرارات عنيفة تثير الكثير من الأسئلة الباحثة عن إجابات وتفسيرات . فالكاتب يرى أن المدينة مقبرة الترابط الاجتماعي ، ومن يدخلها يسبح غصباً عنه تحت أمواجها التي تتقاذفه من شارع إلى آخر ومن حي إلى آخر . وبطبيعة الحياة فيها يصبح هدفه المنفعة والفرصة فتصبح بالتالي أخلاقها هي النفاق فتختفي الذات الإنسانية وراء الحيثية الاجتماعية والأرقام ، رقم المسكن والهاتف والسيارة .. الخ ، حيث أهل الشارع لا يعرف بعضهم البعض الآخر . لقد وجدوا أنفسهم في شارع في

حارة في عمارة بلا اتفاق ولا قرابة تجمعهم . فالمدينة تشتت الأقارب غصباً عنهم ، وتفّرق بين الأب والابن ، والأم والأبناء ، وأحياناً بين الزوج والزوجة ، في حين هي تحشر النقيض مع النقيض والبعيد مع البعيد . المدينة مجرد حياة دودية بيولوجية يحيا فيها الإنسان ويموت بلا معنى وبلا رؤيا ، يعيش ويموت داخل قفص ، لاحرية في المدينة ولا راحة في شوارعها . هناك في تلك الشوارع يتساوى الآدميون والقطط ، قد يقتل الابن أباه وقد تقتل الابنة أمها، إنها سرعة وأنانية المدينة ، وليس العيب في الناس ، هؤلاء متشابهون سواء كانوا في المدينة أو في القرية ، متشابهون في كل شئ تقريباً في القيم والأخلاق وربما كانوا ينتمون إلى أصل قبلي واحد وإلى دين واحد ، العيب إذن هو في طبيعة المدينة ، في ذاتها . فكل شئ في المدينة بثمن ، وكل ما هو كمالي يصبح ضرورياً . وكل شئ له ثمن مادي وثمن معنوي . من هنا تبدأ أزمة الحياة في المدينة . فالمدينة ضد الزراعة وتبنى على الأرض الزراعية وتقتلع الأشجار المثمرة وتجذب الفلاحين وتغريهم كي يتحولوا من منتجين إلى كسالى وتنابلة ومتسولين على أرصفة المدينة . المدينة تطحن سكانها وتجبرك على تغيير مسارك وتقمص شخصية مدينية ليس لها لون ولاطعم ولارائحة ولا معنى . أما أطفال المدينة فإنهم أتعس من كبارهم ، الشارع ليس للعب ، وقد دهست السيارة صغيراً حاول اللعب في الشارع ، ودهست سيارات مسرعة طفلة كانت تعبر الشارع فمزقت جسدها الصغير ولملموها في رداء أمها قطعة قطعة ، وأخرى اختطفوها وغيبّوها أياماً ثم وضعوها أمام بيت أهلها بعد أن سرقوا كليتها ، وطفل وضعه أطفال آخرون في صندوق ورقي فداسته السيارة دون أن ينتبه أحد لوجوده ، ثم يطلق الكاتب صرخة مدوية باتجاه العقلاء والرحماء والإنسانيين ليرحموا الطفولة وينقذوها من العيش في المدينة .

في القصة التالية ، القرية القرية ، يتبدى جمال الريف ، الهواء النقي والأفق الممتد والسقف السماوي المرفوع بغير عمد ، المصابيح الربانية ، الضمير ، المثل هي مصدر الالتزام الخلقي لا الخوف من الشرطي والقانون والحبس والغرامة ..

بل إن الوعي بآي القرآن الكريم هو أشد في الريف . فعندما يقسم الخالق بالفجر ، فإن الفجر لايرى إلا في الريف . أما فجر المدينة فلا يظهر بسبب الكهرباء المتصلة ليلاً نهاراً . وفي قصة انتحار رائد الفضاء نجد هذا الإنسان الذي طاف بالفضاء قد عاد إلى الأرض وإلى ارتداء ثياب أهلها ، وانتهت مهمته مع مؤسسة الفضاء التي يعمل لها فأخذ يبحث عن عمل . عمل نجاراً فلم يفلح ، ذهب إلى الريف ليعمل فلاحاً ففشل ، وعشعشت أرقام المسافات الفضائية في تلافيف مخه فلم يجد نفسه على الأرض فانتحر بعد يأسه من الحصول على عمل يعتاش منه ..

وتتميز هذه المجموعة القصصية بأسلوب متمكن قصير الجمل ، والجمل واضحة المعاني تصل مباشرة إلى قلب وذهن القارئ ، ويتميز الأسلوب كذلك بالسخرية اللاذعة حتى مع الموت ، كثيرة هي الكتب التي يقرؤها القارئ ، غير أن القليل القليل منها هو الذي يسكن في أعماق وجدانه ، لقد قرأ الكثيرون أعمال (جوركي) و(تشيكوف) و(غوغول) و (تولستوي) .. وغيرهم من مئات المبدعين شرقاً وغرباً ، وذهب كل أولئك إلى العالم الآخر وبقيت إبداعاتهم أبدية ، ولا يمكن للقارئ أيضاً أن ينسى قصة الموت أو قصة انتحار رائد الفضاء ، فهما تثيران انفعالات كبيرة في النفس والعقل وتحفزان شهية النقاد . ومن حيث الشكل الفني مرة أخرى ، فإني أعتقد أن الفن والأدب عالم رحب يتسع لأشكال الإبداع وتجاربه كافة ولا يبقى فيه إلا ما هو أصيل وصادق ومعبر عن الوجدان الإنساني

والنفس البشرية . وكتاب الأخ العقيد معمر القذافي من الكتب التي لاينساها القراء . إنه يتميز بأسلوب متمكن قصير الجُمل ذات المعنى الواضح والذي يصل إلى قلب القارئ وذهنه مباشرة . على سبيل المثال ، سأذهب إلى قصة الموت ، هل الموت ذكر أو أنثى ؟ العلم لله ؟ ولكن الشاعر الجاهلي القديم طرفة بن العبد يعتبر الموت ذكراً ، ماذا يفيد إن كان الموت ذكراً أو أنثى فالموت موت وكفى ، كلاً ، من الواجب تحديد جنس الموت . فإن كان ذكراً وجبت مقارعته حتى النهاية ، وإن كانت أنثى وجب الاستسلام لها حتى الرمق الأخير . ويروي الراوي كيف دخل الموت في معارك طاحنة مع أبيه الشجاع ، وكيف جاء في حملة القائد الإيطالي إلى القرضابية فتقمص أزياء الجنود الطليان والاريتريين ، كل ذلك لم يقتل الأب الذي بدأ يقاومه بشراسة وبعد أن قتل إخوته ، قرر الأب الانتقام من الموت ، ومن أجل ذلك قتل العديد من جنود العقيد ميامي الذين تقمص الموت ملابسهم حتى أصبح أحدهم هو ذاته الموت ، وكم كانت حيرة الأب شديدة وهو يرى استمرار سقوط الشهداء عن يمينه ويساره دون توقف وهو يقاوم الموت ولايستسلم له ، حتى استسلم الموت لإطالة أعمارهم مثل أبيه الذي لم يستسلم له يوماً وقاتله دون خوف حتى بلغ عمره 100سنة رغم أنف الموت الذي كان يخطط لإماتته في الثلاثين . فالموقف الصحيح هو المواجهة . أما الهروب فلا ينجي من الموت ، ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)) .
فهذه القصة ليست قصة حدث وإنما اعتمدت على الصراع الدائم ، الصراع حتى النهاية ، والنهاية معروفة وأكيدة ولكن يكفي الإنسان أن يصارع ولايستسلم أبداً ، وهو كما فعل أوديب في الأسطورة يعرف قدره أنه سيقتل أباه ويتزوج من أمه ، فيهرب من القرية التي عاش فيها كي لاتتحقق الأسطورة أو النبوءة ، وفي الطريق يعترضه

رجل فيقتله ، وفي المدينة التي يجثم على بابها وحش يفترس من يعترضه ، وأعلنت المدينة عن جائزة لمن يقتل الوحش والجائزة هي الزواج من الملكة واستطاع أوديب أن يقتل ذلك الوحش ويتزوج الملكة وينجب منها أولاداً ، ثم اكتشف في النهاية أن ذلك الرجل الذي قتله كان والده وأن المرأة التي تزوجها هي أمه ، فيقرر الانتقام من نفسه ، وبعد أن تقتل أمه نفسها إثر معرفتها الحقيقة المرة يأخذ أوديب مشابك ثوب أمه فيخرق عينيه ويخرج إلى الناس والدماء تسيل على وجهه ، لقد انتصر على النبوءة وعاقب نفسه حتى النهاية .

((.. وأعتقد أن السخرية عند الأخ القائد موظفة في قصصه لتكون أشبه بحائط الصد ضد المهازل العديدة التي نعيشها ونراها من حولنا وتحيط بنا . السخرية هنا نوع من الحماية ونوع من التحدي أيضاً ..والإصرار ..))

الأستاذ / سمير الجمل

الأستاذ / سمير الجمل

حوار على موجة جديدة

أنا أخذت الأمر في الأول على أنه ما لا يقال في الخطاب السياسي يمكن أن أجده في الخطاب الأدبي . والحقيقة أنني وجدت ارتباطاً وثيقاً جداً بين الخطاب السياسي والخطاب الأدبي عند معمر القذافي . ففي الناحتين يمضي في نفس الاتجاه مواطناً عربياً يدافع عن عروبته ومؤمناً بإسلامه ومدافعاً عن كيانه وعن هويته وعن شخصيته .

لم يكن في المجموعة سرد ذاتي بشكل تقليدي ، وإنما كانت مجموعة من الحلقات المتتابعة التي تشكل في مجموعها ملامح شخصية هذا الرجل ، سواء على الصعيد الإنساني أو على الصعيد السياسي . هي حلقات متتابعة وإن كانت متناثرة ومتباعدة وغير مرتبة ، غير أنها تشكل في مجموعها ومحصلتها النهائية فكر هذا الرجل من الداخل ومن الخارج . وأنا لا أراها سيرة ذاتية ، ولكن أراها بطاقة أو هوية للتعارف ، نتعرف من خلالها أكثر على هذا الرجل المتواجد في موقعه كزعيم عربي يخاطب المواطن العربي على موجة أخرى ، يعني أن المواطن العربي الذي حدث انفصال بينه وبين الخطاب السياسي المباشر ، فإن معمر القذافي يجذب انتباهه سواء في ليبيا أو على مستوى الوطن كله ويحاوره على موجة جديدة هي موجة الخطاب الأدبي . ونحن نعلم أن قلة هم زعماء العالم الذين كانت لهم اهتمامات أدبية في شكل إنتاج روائي أو قصصي . هناك الرئيس التشيكي هافل مثلاً ، وإذا دققنا لوجدنا أنهم استثمروا إنتاجهم وشغلهم الأدبي ذاك بشكل سياسي . هافل هذا مثلاً بعد

أن دخل الحقل السياسي انقلبت به الآية ، تغيرت الصورة لديه وغيرّ أفكاره ، لكن القذافي بالعكس ، بدأ كزعيم وليس كأديب ، وتالياً كشف لنا وجهه الأدبي ، فتأكد لنا أن الأدب والسياسة والأوجه كافة هي في النهاية تشكل مواطناً عربياً اسمه معمر القذافي . إن في إخلاصه ملامح أدبه ، وفي أدبه ملامح إخلاصه . في خطابه السياسي نبرة أحسست بوجودها بقوة في خطابه الأدبي ، ولكن إذا نظرت إليها كأديب أو ككاتب أو كقلم محترف فإني لا أعتقد بوجوب أن أقف أمام الشكل الفني ، بل على العكس ، أن أقف أمام الخطاب، أمام مضمون هذه المجموعة الذي يسهم في تشكيل وعي جديد .

وإذا توغلت في المجموعة أتوقف عند قصة انتحار رائد الفضاء على سبيل المثال لأبرهن على خطورة الخطاب أو المضمون . فاليوم الناس اعتبرت أن غزو الفضاء كان استراتيجية للهيمنة على الأرض والسماء معاً، قمة الجبروت والتحدي ، لكن بعد كل هذه الإنفاقات الهائلة وآلاف المليارات التي أنفقوها على غزو الفضاء ماذا حصدنا؟ ربما ثورة الاتصالات ، ولكنها في النهاية شئ محدود على مستوى علاقة الإنسان بالإنسان ، ولكن هم يعتبرون أنفسهم على الطريق للسيادة على الكون الذي لايسوده ولايسيّره إلا المولى سبحانه وتعالى ، الله وحده هو الذي بإرادته تنكشف بعض قوانين وأسرار الكون لا (بناسا) ولا بمركبات (ناسا) . في المقابل هؤلاء الذين يريدون منازعة الخالق سبحانه يرمون قمحهم في المحيط كي يحتفظوا بسعره وكي يستمروا في احتكاره . إنهم يخرجون إلى الفضاء لإنفاق المليارات فيما بوروندي والصومال وأفريقيا تئن تحت وطأة الجوع ، ثم بعد ذلك يرفعون شعار الديمقراطية ، لو كان ثمة عدل فلينفقوا على سعادة الإنسان فوق الأرض . إن هذه الدعوة موجودة في القصة ، وكانت ذكية جداً في الشكل الفني الذي عبّر به العقيد القذافي .

ولقد استطاع الكاتب أن يطعّم أو يرصّع هذه المجموعة كلها بالآيات القرآنية ،كأنه يؤكد ويكشف لنا عن مدى الصدق لديه ، لأنه عندما يحدثك الكاتب بلغة القرآن فكأنه يؤدي القسم أو اليمين أمام القارئ على أنه في كل ما يطرحه صادق ، طرح شفّاف وطرح نقي وغير ملتو . أعتقد أن استخدام اللغة القرآنية والمفردات التراثية قد جاء لتأكيد المعنى وتجميله وتقديمه في أبسط وأنقى صورة ، وهي صورة تؤكد البداوة وتؤكد الحس الفطري الجميل الذي يفترض أننا قد تربيّنا عليه جميعاً كعرب ، الحس النقي جداً ، البدوي الذي فيه الفروسية وفيه النصح وفيه الشهامة وفيه الإصرار وعدم الانقسام وعدم الخضوع لأية قوة سياسية كبيرة ليست في حقيقتها أي تلك القوة سوى ملونات فارغة من الداخل .

على صعيد الأسلوب ، فقد كنت سعيداً جداً لاكتشافي أن الأخ القائد يتمتع بحس ساخر عالٍ جداً ، كان هذا من الأشياء التي لفتت نظري كقارئ وككاتب أيضاً . فالحس الساخر عالٍ في قصص مثل صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، والفرار إلى جهنم ، وحتى في مهاجمة الموت يبدو ساخراً إلى أبعد حد وهو يتناول فكرة الموت : ذكر أم أنثى ؟

وأعتقد أن السخرية عند الأخ القائد موظفة في قصصه لتكون أشبه بحائط الصد ضد المهازل العديدة التي نعيشها ونراها من حولنا وتحيط بنا ، السخرية هنا نوع من الحماية ونوع من التحدي أيضاً ، والإصرار ..

((.. فإذا جاء تناولها من
زعيم عربي فإنها بالتأكيد
ستستدعي تأملاً دقيقاً وتفهماً
لطبيعة المعارك التي ينبغي
خوضها ..))

الأستاذ / محمد جبريل

الأستاذ / محمد جبريل

ما شدّني إليه أنه مواطن

لعل أهم ما يمكن لي التركيز عليه في قراءتي للمجموعة القصصية هو الجانب الذي أنا شخصياً مولع به ، سوسيولوجيا الأدب ، أو علم الاجتماع الأدبي ، أعني بذلك مناقشة المجموعة للمشكلات الملحّة التي تواجهها أمتنا العربية، كالصراع العربي الصهيوني ، مشكلة البيئة ، التفاوت الطبقي بين الأغنياء والفقراء ، مشكلة هجرة الريف إلى المدينة ، مشكلة قلة الموارد الأرضية وعدم كفايتها مقابل انطلاق الإنسان إلى الفضاء الخارجي ، هي مشكلات أتصور أهميتها لكل إنسان في عالمنا العربي . فإذا جاء تناولها من زعيم عربي فإنها بالتأكيد ستستدعى تأملاً دقيقاً وتفهماً لطبيعة المعارك التي ينبغي خوضها سعياً وراء التقدم ..

ولعل أهم ما شدني في هذه المجموعة هو الأسلوب ، العفوية الصادقة في الكتابة بحيث يستحيل على القارئ أن يشعر بأن من كتب هو زعيم أو قائد ، يشعر القارئ على العكس من ذلك بأن الكاتب هو مواطن عربي يدرك مشاكل أمته فضلاً عن مشاكل الإنسانية ككل .. لقد كان ذلك أول وأهم ما شدني إلى هذه المجموعة .

((.. وقدرة الأخ القائد الفذّة
على تطويع صفاء الصحراء
واستحضار خلفية التراث العربي
والإرث الإسلامي دون ملل ليكون
بطل كل قصة من قصصه هو :
الجماهير ..))

الأستاذ / سيف الدين عوض الله

الأستاذ / سيف الدين عوض الله

علينا إذ نقرأ ألا ننبهر فقط

وجدت في هذه القصص ذاتي . لقد أصابتني الدهشة إلى حد الانبهار عندما علمت فجأة أن المعلم والمفكر والقائد معمر القذافي أديب يكتب بهذه الروح الإبداعية وبهذا الأسلوب السهل الممتنع . وما جاء في جميع هذه القصص يعتبر شيئاً متكاملاً شمولياً ، الأمر الذي يدل على أن الأخ القائد المفكر هو شخصية ثابتة متكاملة واجتمعت في جوانبها كافةً الذات والهوية كاجتماع الروح والعقل في الجسد . كان ذلك هو الانطباع الأول . أما الانطباع الثاني فكان أن القصص قد أرجعتني إلى القصص القرآني في أسلوبها السهل الممتنع الذي جاء بلغة أهل البادية ، وقدرة الأخ القائد الفذة على تطويع صفاء الصحراء واستحضار خلفية التراث العربي والإرث الإسلامي دون ملل ليكون بطل كل قصة من قصصه هو الجماهير

لقد وجدت في المجموعة تحريضاً على الفعل الأدبي ودعوة رائدة لكتابة جديدة ينبغي أن يتبناها ويتمثلها الأدباء والكُتاب كافة من أجل إحياء أدب جماهيري جديد . وتزخر المجموعة بالتحريض إلى جوار الوجدانيات والمشاعر بأسلوب السهل الممتنع كما أشرت ، تجد فيها دفعاً للآخرين أن اكتبوا للجماهير ، خاطبوا قراءكم بما يفهمون بعيداً عن الترف الفني وبعيداً عن الرومانسية والخيال والأحلام والأماني . اكتبوا للجماهير كي تفهم وكي تفعل . وفي قصته المدينة أقول إن حديث المدينة يطول . فالمدينة التي نسكنها جئناها من البادية ونفوسنا مملوءة بالطموحات والمشاعر والآمال الكاذبة حتى دخل الاستعمار بيوتنا بثقافة الفضائيات والتقنيات الحديثة . أمريكا الآن في منزلي ، هذه هي المدينة التي تحدث عنها الأخ القائد معمر القذافي ، تحدث عن مدينة يحرض أهلها وأمتها وعالمها من أجل حياة أفضل ، من أجل فردوس مفقود ، لقد جئنا المدينة فوارس أحلام تحملنا الأشواق المقهورة بجناح اللهفة ، جئنا مثل فراشات مبهورة لمّا ناديت تعالوا وزيّنت لنا الصورة ، فأفقنا والويل لنا من الصورة ، الليل

هنا يقي أسراراً بالخمر عطيرة ، والجائزين بأسرار مستورة ، والتفاح الملتاع يهتز يقتطف شكوره ، والقمر .. أين القمر ؟ ما عاد يهب نوره. هذه هي المدينة التي تحدث عنها الأخ القائد ، عن نهارها تحدث ولم يتحدث عن ليلها ، ربما ترك ذلك لكتاب آخرين يستوعبون قصصه ويكتبون أدباً جماهيرياً يظهرون فيه مالم يظهره . لقد وجدت نفسي أيضاً في هذه القصة ، وفي القرية القرية ، وفي المسحراتي ظهراً . وأقول للكاتب والأديب القائد معمر القذافي عن المسحراتي ، يا أخي : الصادقون وأهل العلم قد قُهروا ولكنهم ما حَنَوْا للقهر أعناقاً . كل هذه الأفكار استوحيتها من القصص ذات الأسلوب البديع العجيب الذي أجده نفس الأسلوب الذي كتب به الكتاب الأخضر ، النظرية العالمية الثالثة ، مع أنها نظرية ، إلا أنها كتبت بأسلوب يفهمه ويدركه رجل الشارع البسيط..

وعلينا إذ نقرأ ألا نستمتع فقط أو ننبهر فقط ، وكيف استطاع القائد تطويع الكلمة لتصبح سيفاً وسهماً وطلقة، علينا أن نجرد السيف ونطلق السهم ونقذف الطلقة بدورنا، وعندما كتب القائد عن رائد الفضاء وعن الأرض الأرض، الأرض نخلة وزيتونة ، الأرض زرع وضرع ، حليب وقمح وشعير .. هذه هي الحياة .

وبالمضي قدماً في قراءة المجموعة ، نكتشف أن الكاتب يلجأ إلى السخرية في أسلوبه . أجد التهكم في قصة صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته . إنها قصة إبرة الحديد والسيد شوار سكوف ، التي جذبتني أيضاً ، والسيد شوار سكوف في القصة يمثل أمريكا المتداعية . ما أريده هنا أن هذه السخرية ليست من أجل السخرية ، هي سخرية هادفة وموجهة ، تستفز البشر والروح ، القصد منها أن تستفزنا لنفعل شيئاً لمقاومة الظلم والتحدي .

أما في قصة الموت فأجد تجسيداً للصراع بين الموت والحياة ، وكأني بالعقيد يقول لنا ، للقراء ، للعالم أجمع ، إذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العار أن يموت المرء جباناً . إنه يصل بنا إلى فكرة أن الموت الذي يكمن فيه معنى الحياة هو أحلى وأجمل من الحياة ذاتها .

((نلاحظ تأثير القرآن الكريم في مسار النص والاقتباس والتضمين منه، وهذه من أبواب البلاغة المعروفة التي يتعمدها الكاتب لإكساب النص روحاً أدبية ..))

الدكتور / نور الدين صمود

الدكتور / نور الدين صمود

حين تسكن الشاعرية نصاً قصصياً

نلاحظ تأثير القرآن الكريم في مسار النص والاقتباس والتضمين منه ، وهذه من أبواب البلاغة المعروفة التي يتعمدها الكاتب لإكساب النص روحاً أدبية ..

ونلاحظ في البداية أن المجموعة تحفز القارئ على تأمل المنهج الأسلوبي، ولست أنوي تطبيق المنهج الأسلوبي الحديث على المجموعة القصصية ولكني سأتحدث عن السمات البارزة الواضحة للعيان دون تكلف الجري وراء تقصيد صاحب هذا الكتاب مالم يقصده . ألاحظ أن الكاتب قد تأثر بالأسلوب الفرنسي الذي شاع بين المثقفين . فقد جاء العنوان هكذا : القرية القرية الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء ، والعرب يضعون باب العطف بين كل شيئين متعاطفين ويقولون : القرية و القرية ، الأرض والأرض ، وانتحار رائد الفضاء ، أو يحذفون الواو بينها جميعها ، وهذه بالتالي سمة أسلوبية تميز الكتابة في هذه القصص ، ثم نفصل ، أولاً التكرار مقصود ويتمثل في تكرار كلمات معينة تعتبر مفاتيح كل نص من نصوص المجموعة ، وتكرار جمل بعينها أو بمعانيها . ثانياً نلاحظ المراوحة بين أسلوبي الخبر والإنشاء وانبثاق الجمل ذات الطابع الشعري عن الأسلوب الثاني وهو الأسلوب الخبري . ثالثاً ، مقومات الأسلوب الشعري ونماذج واضحة له في الكتاب . رابعاً ما أشرنا إليه في البداية من تأثير القرآن الكريم في النص . ونعود إلى هذه الظواهر بشئ من التفصيل والتوضيح ، نجد ألفاظاً يمكن أن نقول إنها كلمات حبلى بالمعاني ، هي مفاتيح لهذا النص تتكرر بصفة ملحوظة أولاها كلمة المدينة التي ترددت في النص الأول إحدى وتسعين مرة، وفي الأماكن التي يقل تكرارها فيها نجد لها بديلاً يساويها تقريباً ، نجد مثلاً كلمة الشارع الذي هو جزء هام من المدينة تتكرر تسع مرات ، ونجد كذلك سكان المدينة وأطفالهم وأكبادهم ، ونجد ما يسمى أيضاً في البلاغة

بالطباق ، وهو أن نجد ضد المدينة : القرية ، الريف من باب أن الشئ يذكرك بضده ، إلى جانب ذلك نجد صيغاً أخرى مثل مدينتي ، ومدينتنا ، ومديني . فالإلحاح على تكرار هذه الكلمة في هذا النص يجعل الاهتمام ينصبُّ عليها . والملاحظ أن تكرار هذه الألفاظ ليس من باب إعادة اللفظ فقط ، وإنما نجد الكاتب يتحدث مثلاً عن حياة المدينة ، أهل المدينة ، سكان المدينة ، شوارع المدينة ، أضحوكة المدينة ، أنانية المدينة ، طبيعة المدينة، أرصفة المدينة ، كلكل المدينة وهو من باب المجاز ، وكأن المدينة لها كلكل يضع حمله على الناس ، أطفال المدينة ، منازل المدينة، وزقاق المدينة .. إلى آخره ، هكذا ندرك أن هذه الكلمة لم تتكرر مجاناً وإنما جاءت لتعبر عن أشياء مختلفة لكنها مترابطة ارتباطاً كلياً أو عضوياً بالمدينة ، ولكن هذا التكرار له أكثر من معنى ، وقد أفرد ابن رشيق صاحب كتاب العمدة في كتابه ذاك باباً أسماه باب التكرار ، حيث اعتبر أن التكرار هو من قبيل استعذاب الشئ أو التلذذ بذكره كما يقول البلاغيون . فقد أشار ابن رشيق إلى أن الخنساء قد كررت اسم أخيها صخر ثلاث مرات في قولها :

إن صخراً لمولانا وسيدنا .. وإن صخراً إذا نشكو لنحار

وإن صخراً لتأتم الهداة به .. كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

وهذا يدل على مدى تعلق الشاعرة بأخيها . كذلك في مجال بحثنا فإن التكرار يدل على مدى اهتمام كاتب القصة بهذا الموضوع .. تكثر الاستشهادات القرآنية في قصة عائلة يعقوب، أو ملعونة عائلة يعقوب ومباركة أيتها القافلة ، وهي تكثر على صعيدين : الصعيد الأول الاستشهاد الحرفي بالآيات القرآنية مثل : ((ولقد همّت به وهّم بها ، وقدت قميصه من دبر)) ، وكذلك ((قطّعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)) ، كذلك نجد ((وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون)) وكذلك ((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً)) وهذه مقتطفات ليست متوالية كما أذكرها أنا الآن ، وإنما هي مأخوذة من الكلام الذي وقع فيه تضمين الآيات الكريمة ، هذه الاستشهادات التي لايسبقها : قال الله تعالى أو شئ من هذا القبيل إنما تأتي وسط الكلام وكأنها جزء منه ، وهذا ما يسمى في البلاغة بالتضمين أو

الاقتباس ، ولكن أستطيع أن أقول إن هناك على الصعيد الثاني نوعاً آخر من الاقتباس في هذه الظاهرة الأسلوبية ، حيث تقع الإشارة إلى ألفاظ الآية، مجرد إشارة دون ذكر الآية بالنص ، مما يدل على أن الكاتب قد تشبّع بذلك الأسلوب الرفيع ، الأسلوب القرآني ، إذ بعد أن رأيناه يضمن الآيات في كتابته تضميناً حرفياً نجده هنا يقتبس مجرد اقتباس مثل قوله : ((وتكاد السماوات يتفطّرن من شدة..)) ((لقد أتت عائلة يعقوب شيئاً إدّاً)) وكذلك نجد ((إن لها مالاً ممدوداً)) أو ((بيت معمور)) أو ((سقف مرفوع)) ، فالأسلوب القرآني واضح ومتعمد كما لايخفى ، ولا يحلم بمجد مصر وخزائنها إلا يوسف الذي كان يرى الغد ، واختصّه الله بتأويل الأحاديث . يوسف الذي أوحى الله إليه وجعله نبياً وأميناً على خزائن الأرض ومفسراً للأحلام وتعشقه النسوة ، إلى آخر هذه الاستشهادات التي كما لا يخفى ليست متسلسلة وإنما هي مقتطفة من ذلك النص ، هذه الظاهرة الواضحة في هذه القصة نجدها في غيرها ولكن بغير هذا الشيوع والوضوح الذي رأيناه في هذه القصة ..

ويتراوح الأسلوب في قصص المجموعة بين الخبر والإنشاء . والخبر كما هو معروف في علم البلاغة ، الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب ، كقولنا : الطقس جميل ، فقد يكون الطقس جميلاً بالفعل فيكون كلامنا مطابقاً للواقع، وقد يكون الطقس رديئاً ويكون كلامنا مخالفاً للواقع ، ولذلك قالوا عن الخبر هو الذي يقال بعده : صدقت أو كذبت ، أما الأسلوب الثاني ، وهو الإنشاء ، فهو الكلام الذي لايمكن أن يقال بعده صدقت أو كذبت ، مثل قولنا : ما أجمل الطقس ، لأن المتكلم لم يخبر بشئ وإنما تعجّب من شئ . والخبر يكثر في القصص عموماً ، لأن القصة تخبر بشئ وقع وانتهى . وفي هذا الأسلوب شئ من الجمود والروتينية والسرد للإعلام . وفي كل كلام إذا وردت فقرات فيها إنشاء فإنها تبعث في النص شاعرية وعاطفة ، لأن الأسلوب الإنشائي يخرج القصة من الأسلوب الإخباري الجاف ويجعل القارئ يشارك في الكلام . إن قول (لايستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) يخبر عن قاعدة لاسبيل إلى الشك فيها) أما قوله تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) ، فإن هذا الأسلوب الإنشائي المبدوء

بذلك السؤال الإنكاري يجعل المستمع يشارك ويبادر إلى المشاركة في تأسيس هذه القاعدة الذهبية ، فيجيب : طبعاً لايستوون. وإذا كانت القصة يلائمها الأسلوب الخبري فإن الشعر يلائمه أكثر الأسلوب الإنشائي . كذلك يكثر في الشعر الاستفهام والتعجّب والأمر والنهي وما إلى ذلك ، علماً بأنه قد يصلح الأسلوب الخبري للشعر إذا كان الخبر طريفاً خيالياً وقد يكون الأسلوب الإنشائي صالحاً للنثر ، كأن نأمر بشئ مادي لاشاعرية فيه، مثل : أجب عن السؤال التالي ، أو : اضرب عدد كذا في عدد كذا ، وقد يلتجئ الناثر إلى الأساليب الشعرية بشتى أنواعها ليُضفي على نصه شيئاً من الجمال والخيال . فكم من نص موزون مقفى خلا من الشاعرية ، وكم من نص منثور قد عمر بالشاعرية . وهنا سأختار فقرات من هذا الكتاب رأيت فيها الأسلوب الشعري واضحاً ، مثل قوله : ((المدينة هي كابوس الحياة .. المدينة حشرٌ معيشي .. المدينة مقيدة الترابط الاجتماعي ومن يدخلها يسبح فوق أمواجها التي تنقله من شارع إلى شارع)) هذا تعبير - كما نرى - شاعري بالرغم من خلّوه من الوزن والقافية ، كذلك مثلاً قوله : ((فهي تتطلب على كل شئ حولها وتفرد أخطبوطها لتنشر سمومها لتقتل الهواء النقي وتعتم المرآة الطبيعية وتخنق التنفس وتحجب النجوم والقمر وحتى الشمس ..)) وكذلك قوله ((الناس فيها مثل القواقع المحتمية بأصدافها بسُبب ضغط تيارات البحر وأمواجه، المدينة بحر له تيار وأمواج وقاذورات)) . هذه فقرات نراها تكاد تكون شعراً منثوراً . كل هذه التعابير مرتكزة إلى الشاعرية مصدرها الأسلوب الخبري، لكن الأخبار الشعرية طريفة ليس فيها شئ من مميزات الأسلوب الإنشائي الذي يطغى عادة على الأسلوب الشعري ، وأمثال تلك النماذج التي تجدها في الأسلوب القصصي أو الإخباري . أما الشاعرية المتأتية في الأسلوب الإنشائي فهي متوفرة ، كقوله بأسلوب الأمر ((اهجروا معيشة الفئران)) .. اهجروا الحياة الدودية .. اهجروا المدينة .. اهربوا من قبور الأحياء إلى ملكوت الله الواسع حيث تشاهدون الثريا الطبيعية . وكذلك قوله : ((انظروا في الريف المصابيح الربانية المعلقة في السماء وليس في سقف قبو متسخ داخل المدينة ..))، وفي الفقرات التي يشيع فيها الأسلوب الإنشائي المتأتي من التعجّب، كقوله أيضاً : ما أجمل

القرية والريف وقد امتزجت الشجاعة واليأس !! ما أروع امتزاجهما ومأأقساه على الحياة !! نجد الاستفهام شائعاً أيضاً في بعض فقرات قصص المجموعة . فالفقرات ذات النفس الشعري كثيرة في العديد من تلك النصوص . ونجد الكثير من مقومات الأسلوب الشعري مثل الطباق بين الشئ وضده ، مثل تحت وأعلى ، الأعقاب والرقاب ، الموت والحياة، الليل والنهار ، يخطئ ويصيب ، الحصان الأسود والجواد الأبيض ، القرية والمدينة ، السراء والضراء ، كل هذه الطباقات كان لها إسهامها في إشاعة الأسلوب الشعري في هذه القصص ، كما نجد أيضاً لمحات ساخرة تقدم بأسلوب فيه شئ من الجد ، مثل قوله : ((.. تجد الآلاف المؤلفة تتفرج على عراك ديكين .. ناهيك عن الملايين أحياناً وهي تتابع اثنين وعشرين فرداً يركضون في حركة لا معنى لها وراء كيس صغير في حجم البطيخة مملوء بالهواء العادي)) هناك كثير من الجد الممزوج بالهزل ، حيث يسمى الكرة كيساً صغيراً في حجم البطيخة ، وكان بإمكانه أن يذكر اسمها الحقيقي ، جماعة يجرون وراء كرة والسلام ، نجد هذا الأسلوب يتكرر في عدة مواضع ، مثل قوله في انتحار رائد الفضاء : ((وخلع رائد الفضاء ملابس المركبة الفضائية وارتدى بدلته العادية المناسبة للسير والمعيشة فوق الأرض وانتهت مهمته مع مؤسسة الفضاء وصار يبحث عن عمل أرضي فدخل محلاً تجارياً فلم ينجح في هذه الحرفة البسيطة لأنها ليست تخصصه .. كذلك محل الخراطة ومحل الحدادة ومحل السمكرة)) هذه أيضاً نقطة طريفة فيها شئ من الجد الممزوج بالهزل ، وهذا نمط أسلوبي طريف . كذلك في قصة عشبة الخلعة ، فالحاج جمع لنا كل الأعشاب التي تشفي كل الأمراض حتى المرض العقلي والقلب والنظر والكرومة أو الكرامة ، وهنا تجد التلاعب بالألفاظ بين الكرومة والكرامة ، فإن المقابلة كانت ربما تشوشنا عندما كان الحاج يشرح مفعول عشبة مهمة وسمعت أنه قال ضد داء الكرومة أو الكرامة وربما حتى داء الشيخوخة ، لأنه حسب سمعي قال عشبة ضد الكبرياء أو الكبر أو شئ من هذا عموماً لأن له علاقة بالشيخوخة على ما يبدو ..

وهكذا تستمر هذه السخرية في عدة مواضع من الكتاب وفي بعض الحوارات وفي وصفه لبعض الشخصيات ، وكقوله عن الموت في آخر فقرة : ((.. قلت لكم إن الموت يهزم ويولي الأدبار ولايخجل ..)) .

ونجده يستعمل بعض الكلمات العامية مثل : تمشية الأمور في المدينة ، مافيش .. (مافيش) هذه طبعاً عامّية مقصودة وقوله : الله غالب .. هذا هو .... قالوها .. كان زمان .. حوّل عن طريقي ، هذه كلها تعابير عامية مقصودة ، إلى جانب نماذج أخرى من هذا القبيل بعضها من أصل عربي إلى جانب كلمة واحدة من أصل تركي وهي (التنابلة) الكسالى وأصلها تركي تشير إلى تنابلة السلطان عبد الحميد . وعندما قرأت نص الموت ومطاردته لوالد كاتب النص ونجاته منه وانفلاته من براثنه لفت انتباهي هذا الجزء : ((هذا هو الموت الرهيب يمتطي الحصان الأسود في ساعة الغضب الشديد والجواد الأبيض في لحظة التحدي السافر العنيد ..)) ويستمر في وصف هذه المعركة التي استمرت عقوداً بين هذا الشيخ الصحراوي وبين الموت وتنتهي بانتصار الشيخ على الموت ، ولكن الموت ينهي حياة كل إنسان، وكم من بطل مات فوق سريره ..

((.. في الفرار إلى جهنم استخدم المؤلف براعته في إثارة ذهن القارئ . فالسؤال عن جهنمِ ظل يرافقنا حتى نهاية القصة ، وكلٌ فسَّره حسب حدسه وخياله وتأملاته الشخصية ..))

الأستاذة / لطفية القبائلي

الأستاذة / لطفية القبائلي

حيث الزمان دوائر متداخلة

أقبلت على قراءة المجموعة القصصية مدفوعة بعاملين ، الأول حب الاستطلاع ، حيث تعودنا أن نقرأ للأديب السياسي ولكن لم نقرأ للسياسي الأديب ، والعامل الثاني هو عنوانها المثير الجذاب : القرية القرية ، الأرض الأرض، وانتحار رائد الفضاء . وقد خرجت بانطباعات كثيرة ، غير أن الفكرة المِحورية التي تتردد أصداؤها عبر نصوص المجموعة هي تقديس الحرية كقيمة مسبقة . فهي تخاطبنا من أعماق الذات ومن خفايا الواقع . وكلما غصت في قراءتها تشعر بأن صاحبها يلتزم بالإنسان ، الشعب ، بالحق ، بالحياة ، بالعزم والنضال ، تشعر بأن صاحبها يلتزم بالوطن وبالقيم وبسنن وتشريعات ، ويهتم بالفرد وبالروح وبالمشاعر وبالحقوق ، تشعر أن صاحب المجموعة إنسان كادح عصامي مسكون بحب الريف ، شديد الوله بعالمه الصحراوي النقي . فهذه الروح البدوية وما تحويه من حب للترحال وعشق للحرية النقية من شوائب وقيود الحضارة هي الترنيمة التي نجدها حاضرة دائماً في النصوص . وليسمح لي القارئ بوقفة عند نص المدينة . فقد استغرق الكاتب في تشريح التركيبة الاجتماعية لمجتمع المدينة ، والتي تشكل فيها البيئة الاجتماعية عزلاً قاسياً بين ساكنيها يقودنا إلى لحظة مواجهة مع إنسان هذه التركيبة العاجزة التي ينكفئ فيها هذا الإنسان ، إنسان المدينة ، إلى ما وراء الذات ليستقر في جوف الفراغ الذي يساوي الزمن بالعدد . ولنقرأ معاً جزءاً من النص : (لاحرية في المدينة ولاراحة .. جدران زائدة في المسكن أو في خارج المسكن ، في

العمارة ، في الشارع ، في العمل ، المدينة تقليعة ، صيحة انبهار ، تقليد أعمى ، استهلاك لعين ، كل شئ في المدينة بثمن . المدينة تقتل الحس الاجتماعي والمشاعر الإنسانية وتخلق التبلّد واللامبالاة . هذه هي المدينة طاحونة لساكنيها وكابوس لمشيدها ، تجبرك على تغيير مظهرك وتبديل قميصك وتقمّص شخصية مدينية ليس لها طعم ولارائحة ولا لون) ..

نجد هنا في هذه الومضات لحظة استراحة . إن القائد يقودنا إلى تأمل لذيذ إلى عالم أكثر صفاءً ونقاوة ، حيث يقول لنا : ((اهجروا الجحيم الأرضي وفرّوا سريعاً وبكل ابتهاج إلى القرية والريف حيث للجهد الجسماني معناه وضرورته وفائدته ومتعته . ما أجمل القرية والريف ! حيث الهواء النقي والأفق الممتد والسقف السماوي المرفوع بلا عمد ، حيث المصابيح الربّانية، حيث الضمير والمُثُل هي مصدر الإلزام الخُلقي وليس الخوف من الشرطة والقانون والحبس والغرامة ، حيث التحرر من القيود المفروضة والتوجيهات الضرورية البغيضة ، فلا صفارات ، ولا توجيه إجباري ولاتدافع بالمناكب ولاطوابير ولاانتظار ، ولاحتى نظر إلى الساعة ، القرية والريف والفضاء الواسع والانشراح والملكوت البديع ، حيث للقمر معنى وللسماء متعة وللأفق رؤية ..)) .

لاحظوا أن هذه الصورة الجميلة الرحبة التي يعرضها الكاتب في القرية القرية تشكل عالماً يوضح الموقف الإحيائي للقيم البدوية الأصيلة ، تلك القيم المألوفة للكاتب ، وهي قيم لاتتجلى فقط بمجرد الإشارة إلى صفات معينة وإنما أساساً في الاعتراف بالمكان والأسماء والأعلام والبيئة والحضور الدائم ، قيم رفيعة يشعر القارئ معها براحة وطمأنينة وصدق ورؤية وليس مجرد أحلام جميلة . فالحلم الرائع كامن في عالم ما بعد النص . وأجول مع

القرية القرية الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء في سياحة مشوّقة عبر الكلمات فأرى المؤلف بأسلوبه الجذاب يتعامل إيجابياً مع الموروث الثقافي ، أراه يكسر وحدة الزمان والمكان ويخضعهما للتيار الشعوري المتدفق بوجه ثوري وحرية لايحد منها الضابط الفني ، وهو تكتيك لايعتمد على مدرسة أدبية معينة أو منهج معين ، وإنما هو نضال إبداعي ، وفكرٌ مُعاش يعود بنا إلى حرارة الانتماء .

عندما قرأت قصة الموت أحسست بأنها تكشف الرؤية عن موت رائع ، وما يميزّها أن كاتبها انتهج أسلوب أسطورة أخضع فيه أبطاله لعملية رتابة عقلية تنظيمية تجعلك ترافقهم أينما كانوا في الصحاري والكهوف والوديان وفي مساكن الطين والحجر ، وقد أمسكت هذه القصة بمادة فكرية درامية غنية تتمثل في عدة ظواهر وأشياء ، من هذه الظواهر أن ليس فيها للزمان خط إيجابي بل هو دوائر متداخلة . هناك معاناة مكثفة تتمثل فيها البطولة والشجاعة في صورة المناضل الذي لايهاب الموت ، بطلها ينتمي إلى جيل يبهرنا بشجاعته ، جيل عاش النضال والاعتقال وعانق الموت فعلاً ، جيل أبطاله يبحثون عن قيم إيجابية في عالم منحط . وهذه الرؤى تكاد تتوحد في النهاية . فالمؤلف هنا يريد أن ينفذ من الماضي على الحاضر عن طريق الذاكرة ، وهي استحضار للتاريخ وللقيم والمثل وللبيئة التي ينتمي إليها .

إن قصة الفرار إلى جهنم تتمركز حول الذات ، الصراع داخل الذات حيال كل ما يدور في الداخل والخارج بأسلوب السهل الممتنع . هنا نلاحظ قدرة المؤلف على التوظيف الذكي حيث يجعل من الحدث الواقعي حدثاً قادراً على الإشعاع بدلالات رمزية تتجاوز كل المعطيات المحدودة . ولنستمع إلى هذا البوح على لسان بطل القصة : ((هذه الجموع التي لا ترحم حتى منقذيها .. أحس أنها تلاحقني .. تحرقني

حتى وهي تصفّق وأحس أنها تصرخ .. عموماً أنا جنيت على نفسي بدخولي المدينة طواعية ولا وقت لذكر السبب .. إذن أرجوكم أن تتركوني .. اتركوني وهمومي ..)) أمام هذا الضغط وفي لحظة وعي مع النفس يقرر بطل القصة الفرار إلى جهنم ليستمتع براحة تنقذه من تعب السنين ، حيث تبدو جهنم أرحم من هؤلاء البشر الذين تحوّلوا إلى ما يشبه كائنات الغابة . في الفرار إلى جهنم استخدم المؤلف براعته في إثارة ذهن القارئ . فالسؤال عن جهنم ظل يرافقنا حتى نهاية القصة ، وكلٌ فسَّره حسب حدسه وخياله وتأملاته الشخصية .

((.. وبفعل هذه المجموعة يمكن القول
إن ثمة أشياء في معمر القذافي لم نكن
نراها قد تجلّت ، وجوانب ربما لم نكن
نحسها أصبحت ملموسة بالنسبة إلينا ،
وضعتها المجموعة تحت المجهر ..))

الدكتور / رمضان البريكي

الدكتور / رمضان البريكي

تأريخ لحالة بوح

لا تستند دوافع اهتمامنا كجمع من الكتاب والنقاد العرب بمجموعة معمر القذافي القصصية على المجاملة أو إلى الترف الفكري ، وإنما جوهر هذا الاهتمام كون معمر القذافي بأفكاره ومواقفه وموقعه القيادي ودوره التحريضي قد صار جزءاً من التاريخ المعاصر لهذه الأمة ، وتكمن في أن المجموعة قد صيغت بقلمه لتؤرّخ لحالة بوح سجّل من خلالها وجدانيات ومكابدات وأحاسيس ، أي أن هذه المجموعة تكتسب أهميتها من أهمية معمر القذافي ذاته . وبفعل هذه المجموعة يمكن القول إن ثمة أشياء في معمر القذافي لم نكن نراها قد تجلّت ، وجوانب ربما لم نكن نحسها أصبحت ملموسة بالنسبة إلينا ، وضعتها المجموعة تحت المجهر . إن معمر القذافي كما فهمته عبر مواقفه وكتاباته الفكرية وأعماله الإبداعية شخصية واحدة متكاملة راسخة المبادئ ثابتة المواقف ، وهي في الوقت ذاته متطورة الأداء ، أي أن هذه المجموعة قد منحتنا منصة جديدة نرى منها شخصية معمر القذافي ، أصبحت لنا زاوية رؤيا أخرى وليس شخصية أخرى لمعمر القذافي ، هذه المجموعة حتى وإن بدت تعبيراً عفوياً عن حالة إبداعية لأديب ثائر ضد التدجين والتطويع والاغتراب ، إلا أنها عمل هام أفسح به القذافي زاوية الرؤية أمام المتلقي والأديب والمفكر العربي . يمكن باختصار أن أقول إننا صرنا نراه بهذه المجموعة عملاقاً أكثر من ذي قبل ، هذا أقل ما يمكن أن تفعله بنا هذه المجموعة القصصية . وباعتباري عربياً من ليبيا ، فقد أتيحت لي فرصة قراءة هذه المجموعة في وقت مبكر ، بعضها قرأته منذ سنوات عندما نشرت في الصحف المحلية لأول مرة واعتبرتها سيرة ذاتية للقائد معمر القذافي ، ولكونها سيرة ذاتية فقد تفاعلت مع كل ما جاء فيها ، وتأثرت بالحالة التي تجسدُها بعض القصص، وخاصة قصة الفرار إلى جهنم ، هذا القصة رائعة ، بل وهي وإن قُدّمت على الورق إلا أنها في حياة

معمر القذافي ملحمة حقيقية رغم كونها قصة قصيرة . الفرار إلى جهنم موقف ومكابدة ، موقف من المدينة والضجيج والحياة داخل العلب الأسمنتية وبين المعلبّات ، ومكابدة عاشها الكاتب من الآخرين الذين عاملوه بقسوة ، هي لوحة فنية رائعة ومأساة وجدانية مروعة في آن ، وهي فخ من الرمال المتحركة والتي أتجاوز الوقوف عندها بحذر كما يفعل الكثيرون إلى الغوص في أعماقها مستفيداً - ما أمكنني - من معايشتي لمسرح الأحداث ، أعتبرها قصة واقعية في الزمان والمكان . لابد من التوقف عند الفرار ، كيف؟ وإلى أين ؟ وعند الجزئية الثانية : جهنم . فالفرار من الجموع التي لم تمنحه متعة الجلوس على كرسي في المقهى ولا اصطحاب ابنه الصغير ليشتري له بدلة العيد مثل كل الآباء ، دون أن يقابل بالهتافات ودون أن يحاصر بآلاف البشر ، دون حرس يلازمه في حلّه وترحاله ، هذه الحالة المقلقة هي نتاج معاناة الكاتب لأكثر من ربع قرن من الزمان . ولعلّ تسليمه السلطة للشعب في الثاني من مارس عام 1977هي أهم محاولة فرار تاريخية عرفها تاريخ الصراع على السلطة في العالم ، هذه العملية التي وضعت الشعب محل الرئيس ، كما يمكن القول إن محاولة الفرار التي سجلتها هذه القصة هي نتاج ضريبة الشهرة وقسوة الجموع عندما تطغى جماعياً لأنها لم تستوعب بعد أنها قد صارت في السلطة وأن القرار صار بيدها وأن عليها أن تترك هذا البدوي الذي حرّر سكان المدينة وتذهب لحل مشاكلها بنفسها وتدير شؤونها بنفسها . إن البديل في الفرار إلى جهنم ليس بكل تأكيد جهنم التي تحدثت عنها الكتب السماوية ، وليس مكاناً آخر في العالم السفلي أو العلوي . إنه البديل عن المدينة بغوغائها ونمطها الاختلافي وعلاقاتها المتفسّخة ، إنه بديل البدوي عن المدينة التي لاتليق به ولاتناسبه وضاق بها ذرعاً . إن البديل هو عودته إلى جذوره وإلى منشئه ، إلى حيث لاجدران ولا نفايات ولا علب ولامعلبات ، إلى الصحراء ، إذن الصحراء وليس جهنم هي البديل . لقد أصبحت أؤمن بأن هذا الجزء من السيرة الذاتية وهذه القصة قد حدث فعلاً ولو لمرة واحدة . ومن خلال قراءتي بإمعان للوصف الذي جاءت عليه جهنم بشمسها وكثبانها وهدوئها الرهيب ، وتأكيد الكاتب على أنه رآها فعلاً وتفحصها وآثرها على المدينة ،

يمكن الجزم بأن الكاتب معمر القذافي يغازل منطقة محاطة بالطلاسم في عمق الصحراء الليبية سماها الليبيون قديماً (قرارة جهنم) ولاتزال تحمل هذا الاسم حتى الآن ، قرارة جهنم اسم يقترن في ذاكرة كل ليبي بالرهبة والجسارة والشجاعة والإقدام . معمر القذافي رجل مسكون بالصحراء التي تمثل له منظومة هائلة من المفاهيم والقيم والأحاسيس التي قد لا أستطيع الإلمام ولو بجزء بسيط منها ، هي الصحراء بالنسبة له تمثّل الصفاء والبيئة والهدوء والملاذ الآمن والحزام الحارس ، وهي فخ كبير جاهز دائماً للإيقاع بكل عدوان خارجي وخاصة ذلك المرتقب من وراء البحر ، لقد رأى منطقة (قرارة جهنم) والتي أتصور أن الكاتب يتحدث عنها ويقصدها كما لم يرها غيره ، رآها وصوّرها بعين الأديب الحالم ، كل شئ فيها يدعو إلى المكوث . لقد بدت له مغرية ناعمة لاينقصها شئ من وسائل العيش ، لولا أولئك الذين لحقوا به بآلتهم اللعينة ليفسدوا عليه وحدته ، في إشارة مباشرة إلى حراسه الذين يبدو أنه قد فرَّ منهم باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من المدينة . قمة الإبداع - في تقديري - تكمن في هذه الالتقاطة ، عندما استخدم اسماً خارقاً ضارباً في عمق الصحراء الليبية في سيرة ذاتية تعبّر عن حالة مؤثرة لشخصية ليست ملك نفسها ، ولكنها تؤثّر وتتأثر بفعل مسؤولياتها القيادية في بقاع شتى من العالم . إن قصة الفرار إلى جهنم تحتوي على التقاطة فنية رائعة جريئة في غاية المحلية للتعبير عن حالة وجدانية ترتقي لمستوى العالمية ، هذا باختصار شديد هو معمر القذافي الأديب كما فهمته في رحلة الفرار إلى جهنم .

الفهــــرس

قراءات في إبداع

معمر القذافي

مفكرون وأدباء وباحثون يحللون نصوص المجموعة القصصية للأخ القائد

- محمد العروسي المطوي
- د. سمير سرحان
- على عقلة عرسان
- محمد الفيتوري
- د.احمد إبراهيم الفقيه
- د خليفة التليسي
- كامل عراب
- أمين مازن
- بشير الهاشمي
- عبدالرحمن مجيد الربيعي
- الصافي سعيد
- د . نبيل راغب
- فتحى الابياري
- سمير الجمل
- محمد جبريل
- سيف الدين عوض الله
- نور الدين صمود
- لطفية القبائلي
- د. رمضان البريكي

العالم لم تغيره المادة وغيرته الأفكار.. وهذا يجيب على بعض التساؤلات التي كتبتها.. الكلمة هي أهم من أي شيء.. في البدء كانت الكلمة.. كل شيء يبدأ باسم الله.. بإسم الشعب.. بالإسم وليس بالفعل يبدأ الإسم قبل ومن بعده الفعل.. وهذا يعني مجرد تشجيع للقادرين مثلكم على إستعمال الكلمة وإيقاظ الروح والتركيز على الجانب الأدبي والمعنوي.. الذي يغير العالم لا يملك أساطيل وليس عنده قوة مادية ولا جيوش.. بالعكس الذين اكتسحوا العالم بالقوة المادية وغزوا انتهوا ، ولكن الذين واجهوا العالم بالإقناع وبالكلمة هم الذين أصبحت رسالتهم خالدة ، إسكندر المقدوني أو نابليون أو هتلر أو قمبيز أو هولاكو أو جنكز خان إلى آخر الفاتحين الذين فتحوا العالم بالقوة إنتهوا.. إنتهت آثارهم لكن زرادشت والمسيح أو محمد صلى الله عليه وسلم الذين ليست عندهم أساطيل افتتحوا العالم، هاهي الفتوحات التي تكلموا عنها فتوحات إسلامية أوغير إسلامية لم يعملها النبي ... الناس الذين أتوا بعده.. هؤلاء هم ال... غيروا العالم..



جانب من لقاء الأخ قائد الث...
بالأدباء والكتاب العر...
في 8 التمور 1996 مسيح...

من إصدارات المركز العام للإذاعات الموجهة ـ صوت أفريقيا